وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز احياء التراث العلمي العربي



الكتاب النافع في كيفيّة تعليم صناعة الطب

لعلي بن رضوان المصري

حققه وعلق على مضامينه
الدكتور كمال السامرائي



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة بغـداد
مركز احياء التراث العلمي العربي

الكتـاب النـافع
في كيفية تعليم صـناعة الطـب

لعلي بن رضـوان المصـري

حققه وعلق على مضامينه
الدكتور كمال السامرائي

طبع على نفقة جامعـة بغـداد

مطبعة جامعـة بغداد
١٩٨٦

محتويات الكتاب

القسم الاول

القسم الثاني

القسم الثالث

١ ـ نص وتحقيق المقالة الاولى من الكتاب النافع ·

٢ ـ نص وتحقيق المقالة الثانية من الكتاب النافع ·

القسم الاول

١ ـ مقـدمة المحقق ٠

٢ ـ أهمية الكتاب النافع بايجاز ٠

مقدمة المحقق

ليس في التراثيات العربية التي وصلتنا مصادر وافية عن طرق تعليم الطب في العصور الاسلامية • والاشارات القليلة الى هذا الموضوع يعثر عليها في تراجم بعض الاطباء العرب ، أو في مؤلفاتهم العلمية ، أو تعرف بالقياس على ما كان يمارسه المسلمون في تعليم العلوم الاخرى كالتفسير والحديث وعلوم الحكمة وما الى ذلك من المعارف النظرية • الا ان هذا القياس لا يصح تطبيقه على الطب الا بقدر محدود لسبب غاية في الاهمية ، وهو ان الطب علم تطبيقي ، ويتوجب لتعليمه اتباع طرق خاصة في تدريب المتعلمين على استخدام الملاحظة والاستفادة منها للوقوف على معرفة الاعراض والعلامات المرضية ، والتمرن على استعمال اليدين ، والادوات المساعدة في الفحص والتداوي •

وقد عرفت في التراثيات العربية مؤلفات كثيرة بعناوين توحي بان لمضامينها علاقة بتعليم الطب ، الا ان الباحثين لم يعثروا على تلك الكتب ليتوثقوا من حقيقة محتوياتها • وكل ما وصلنا منها هو كتاب شرف الطب وبعض من الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، وكلاهما لابن رضوان المصري • والكتاب النافع هذا بثلاث مقالات ، لم يعثر الا على المقالتين الاولى والثانية ، ومخطوطتاهما فريدتان لا ثانية لاي منهما ،وقد اصابهما كثير من الخروم بفعل الدويبات وسوء الخزن مما ادى الى انطماس كثير من الكلمات والعبارات في احرج السياقات العلمية التي استطرد فيها المؤلف • كما ان التصحيفات التي صنعها النساخ ، والتغييرات التي شملت تسلسل الصفحات اثناء تجليد المخطوطة جعلت بعض الكلمات والعبارات لا يستقيم سياقها مع ما تقدمها وما تلاها في المخطوطة • ولان في المقالتين معلومات تاريخية وعلمية جد قيمة لانجدها في اي كتاب اخر اسبق في الزمن من هذا الكتاب ،

ولانهما ايضا المصـدر الوحيد عن مدرسـة الاسكندرية في عهـدها الاخير ، لذلك أقدمت على تحقيق ما يمكن تحقيقه من المخطوطتين • وقد اضطررت على ابقاء كثير مما فيها من العيوب الخطية التى لم اتوفق في اصلاحها • وفي رأيي ان ذلك لا يمحو كثيرا من فضائل المخطوطتين • وقد اشرت الى تلك العيوب برموز وضعت لها كشفا بمعانيها ليطلع عليها القارىء قبل الشروع بقراءة متن المخطوطتين •

ولم اكثر ولا أطلت في تراجم الاطبـاء الذين وردت اسـماؤهم في الكتاب باستثناء ابن رضوان المصرى على اعتباره مؤلف هذا الكتاب وعمود البحث فيه • كما تحاشيت ذكر المراجع الاجنبية والحديثة الا ما كان له اهمية خاصـة بموضـوع التعليم في العصور القديمة ، واكتفيت بذكر بعض مظان المخطـوطات في المكتبات العالمية • ولان في ظنى ان هذا الكتاب يحتمل ان يقرأه هواة الاطلاع على التراثيات الاسلامية اضافة الى المتضلعين فيها ، لذلك ادخلت في هوامشه التعريف بكل ما ورد في الكتاب من اسماء اشخاص وكتب ، وأدوية ، حتى التى تبدو معروفة لبعض من لا يحتاجون الى التعريف بها • واكثر تلك الهوامش لها علاقة بافكار ابن رضوان•

ولكى أحدد مواضيع هذا الكتاب وأبرزها ، جعلته بخمسة أقسام على حسب ما في محتـويات كل منها من تقارب او ترابـط في المادة العلمية أو التأريخيـة • فخصصت القسم الاول في سيرة ابن رضـوان والعصر الذى عاش فيه ومن عاصره من الاطباء ، وفي افكاره في تعليم الطب ، واسلوبه في تأليف الكتب الطبية •

وخصصت القسم الثاني للتعريف بنسخة مخطوطة الكتاب النافع بدار الكتب المصرية ، ونسـخة جسـتر بيتى بدبلن : كما استعرضت فيه باختصار منهج ابن رضـوان في تأليف الكتاب النافع وما ضـمنه في مقالتيه الاولى والثانية • وكرست القسم الثالث لنص المخطوطتين وما ادخلت عليها من تحقيق وتعليق •

وزودت الكتاب بفهرس للاعلام ، وفهرس لاسماء الكتب ، وفهرس عام لاسماء الادوية والامراض وما الى ذلك ·

ويقتضيني العرفان ان ارفع شكري الى الاستاذ كوركيس عواد لتفضله باعارتي مصورتي المخطوطتين للمقالة الاولى والثانية من الكتاب النافع اللتين وضعت عليهما هذه الدراسة · كما اشكر أخي الحميم الاستاذ احمد عبد الباقي على مساعدته القيمة بقراءة نص مخطوطة المقالة الاولى والاطلاع على مسودة التحقيق وابداء ملاحظاته القيمة التي اخذت بها بسرور وامتنان · واشكر ايضا الاخ الحبيب الاستاذ الدكتور حسين على محفوظ الذى قرأ الكتاب كخبير تراثي تهيئة لطبعه ·

ولا أنسى ايضا ان اسجل هنا ودى العميق ودوام محبتي لزوجتي رحمها الله على ما عانته في صبرها على استنساخ مسودة التحقيق · ومن الله الرضى والجزاء الاوفى ·

الشماسية **الدكتور كمال السامرائى**

أهمية الكتـــاب النـــافع

في هذا الكتاب اشارات الى طريقة كل من ابقراط وجالنيوس وحكماء مدرسة الاسكندرية في تعليم الطب ، والى تقنية تعليمه في مصر أيام مؤلف الكتاب ابن رضـوان · وهي معلومات لا نجـدها موحدة في كتاب تراثي واحد ، ولان اكثر مصادر الكتاب النافع من المفقودات · فلولاه لما المنا بما عرفناه عن المواطن الاولى للفكر الطبي ومراحل تطوره وخط مسيرته نحو المشرق الاسلامي ، ولا عن الحركة الفكرية بين المسلمين في بدء وصول الطب اليوناني اليهم · فالكتاب بكلمة موجزة مصـدر قيم ان لم يكن الوحيد لتوثيق ما ورد في التراثيات العربية المتأخـرة عن تأريخ الطب والاطباء · وفيما يلي بيان مركز لبعض المعلومات المهمة التي تبرز من بين ثنايا هذا الكتاب القيم وجميعها ليس لها ذكر في غير هذا الكتاب ·

١ ـ تدهورت مدرسة الطب في الاسكندرية بعد وفاة جالينوس سنة ٢٠١م حتى القرن الرابع الميلادي · وكثر الاعتماد في تلك الحقبة على الكتب المختصرة في تعليم الطب بدلا من كتب التعليم التقليدية الموسعة، كما كثر منتحلوا صناعة الطب ممن ليسـوا على علم بها · فاستـأذن بعض حـكماء الاسـكندرية من ولاة الامر والنهي فيها لاستحداث مدرسة لتعليم الطب ، ووضعوا لتعليم فيها (جوامع) على كتب من مؤلفات ابقراط وجالينوس ·

٢ ـ وضعت جوامع الاسكندرانيين على اربعة كتب لابقراط ، وستة عشر كتاب لجالينوس · ولم يـذكر اي مؤرخ غير ابن رضوان كتب ابقراط في هـذه الجوامع ·

٣ ـ جوامع الاسكندرانيين ليست كتبا موجزة في الطب كما يظن لاول وهلة ،

بل هى جامعة لكل مضامين الكتب الاصل بتنسيق مبتكر يتفق وتدرج مراحل التعليم في المدرسة ·

٤ ـ كانت طريقة كتابة (الجوامع) وتعليم مضامينها ، بالسؤال والجواب · وهى الطريقة ذاتها التى سلكها حنين بن اسحاق العبادى في مؤلفاته في العلوم الطبية ·

٥ ـ يفهم من تاريخ وفاة سرجيوس الرأس عيني سنة ٥٣٦م ، والذي هو من مدرسة الاسكندرية ـ ان اللقاء بين هذا الحكيم وعمرو بن العاص الذى يردده جميع المؤرخين باستثناء ابن النديم ، هو لقاء مزعوم وليس له نصيب من الصحة · ذلك لان يحيى النحوى بحسب تأريخ وفاة سرجيوس الراس عينى قد توفى قبل ما لا يقل عن نصف قرن من دخول عمرو بن العاص الى الاسكندرية ·

٦ ـ نقل الخليفة عمر بن عبد العزيز تعليم الطب من الاسكندرية الى انطاكية وحران ، ومن هاتين الحاضرتين وصل الى بلاد فارس ومن هذه البلاد الى بغداد ·

٧ ـ في الكتاب صورة مفصلة بوضوح لما عاناه ابن رضوان لتعليم صناعة الطب ، ثم صعوده الى اعلى مراتب الاطباء بمصر ، والغرور الذى ركبه لمحاربة أكابر علماء الطب كحنين بن اسحاق وابى بكر الرازى ، وهى صورة مثالية لاخلاقيته في المناقشات العلمية ·

٨ ـ كان على من يطلب تعليم الطب في أيام ابن رضوان وما قبل زمانه ان يتعلم اولا علمى المنطق والهندسة قبل ان يشرع بقراءة كتب الطب ·

٩ ـ كانت طريقة تعليم الطب بمصر أيام ابن رضوان تتكل على قراءه متون الكتب من قبل الطالب وتفسيرها والتعليق عليها من قبل المعلم ·

١٠ ـ كان اول ما يشرع الطالب بقراءته من كتب الطب هو كتاب الفرق أو ما يقرؤه من كتب الطب الصرفة فهى التى تبحث في موضوع التشريح ·

علي بن رضوان المصري(١)

سيرته :

هو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر الطبيب · ولا يعرف عن نسبه اكثر من ذلك · كما لا يعرف فيما اذا كان جده جعفر طبيبا أم ان هذا اللقب الذى الصق باسمه يعود الى صاحب الترجمة عليا · و (على) باى حال من اطبــاء العرب البارزين ، واشهر اطبــاء مصر في أيام الخلفاء الفاطميين(٢) وقد تضاربت بحقه آراء المترجمين له ، فمنهم من أفرط في الثناء عليه ، ومنهم من اثنى عليه باعتدال لا يخلو من الانتقاض من منزلته العلمية · قال عنــه ابن القفطى (وكان من المعلقين لا المحققين ومع هذا تتلمذ له جماعة من الطلبة وأخذوا عنه،وسار ذكره . وصــنف كتبــا لم تــكن في غاية بابهــا ، بل هى مختلطة ملتصقة مبتكرة مستنبطة) ثــم قال (اما تلاميــذه فينقلون عنــه من التعاليق الطبية والاقاويل النجومية والالفاظ المنطقية ما يضحك ، ان صدق النقلة)(٣) بينما قال ابن القفطى نفسه في مكان اخر (انه كان عالم مصر في اوانه في ايام المستنصرية) (٤) (يقصد أيام المستنصر بالله الفاطمى) أما ابن ابى أصيبعة فقد أسهب في الكلام عنه بتقدير وقال (كان ملازما للاشتغال والنظر في العلم الى ان تميز وصار له الذكر الحسن

والسمعة العظيمة (٥) . وقال عنه ابن تغرى بردى انه كان من كبار الفلاسفة في الاسلام (٦) . اما ابن عماد الحنبلى فقال (هو المصرى الفيلسوف صاحب التصانيف ، وكان رأسا في الطب والتنجيم ومن اذكياء زمانه)(٧) . وتتفق هذه التراجم على ان ابن رضوان من كبار فلاسفة الاسلام واطبائه الاعلام ، كما تتفق مع ترجمته الذاتية بمعالمها البارزة التى قد تكون اصدق الترجمات عموما (٨) . على ان الحكم على مراتب الاطباء وعلو اقدامهم في الصناعة اكثر ما تعتمد على انتاجاتهم في الفكر الطبى والتأليف فيه ، وابن رضوان فارس في هذين الميدانين .

ولد ابن رضوان بجيزة القاهرة بحدود سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م ، في بيت متواضع يعمل فيه الاب بصنع الخبز ليعيل اسرته المكونة من زوجته وابنتيه وولده (على) صاحب هذه الترجمة . وبدافع من العوز انتقلت الاسرة الى القاهرة حيث يتوفر العمل والكسب . وكان على حينذاك يناهز العاشرة من عمره . وفي الرابعة عشرة بدأ يتعلم صناعة التنجيم التى كانت يومئذ رائجة بين المصريين ويؤمنون باحكامها بمتعة وخضوع(٩) ، فتعلمها وصار يمارسها في دكان أحد أصحابه ، ويحصل من ممارستها ما يسد حاجياته المعاشية . وحين رأى في دلالات النجوم انه سوف يمتهن الطب(١٠) ، وهى الاخرى صناعة مغرية ومربحة ، التحق حين ادرك الخامسة عشرة من عمره بحلقة معلمى الطب ، الا انه لم يجد هذا المعلم يحسن التعليم فانقطع عنه ، وعد ــ على ما يبدو ــ جميع شيوخ الطب في مصر على هذه الشاكلة والمستوى في العلم والتعليم . وفضل ان يقرأ كتب الطب اليونانية بنفسه بلا معلم، مسترشدا بتوصية جالينوس فيما يبدأ بقرائته من تلك الكتب . كما صار يقرأ ما يقع بين يديه من كتب الاطباء العرب الذين سبقوه كأبى بكر الرازى وابن سينا . وحين رأى مصادر هذين الطبيبين في المؤلفات اليونانية اقتنى

هذه الكتب وصار يقرؤها بنهم ، ويمارس تطبيق مضامينها على المرضى · ولما بلغ ابن رضـــوان الثانية والثـلاثين مـن عمــــره صار يتقـن ممـارســـة هـذه الصناعة بنجاح اضافة الى اعماله في التنجيم في دكان أحد أصحابه ، وبذلك حسنت حالته ورغدت عيشته مما يكسبه من هاتين الصناعتين · ولما اشتهر امره طبيبا ومنجما الحقـه الخليفـة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م) بحاشيته ليكون طبيبه الخاص خلفا لابن نسـطاس(١١) الذى كان قد توفي في تلك الايام ·كما نصبه الخليفة رئيسا على اطباء مصر عموما ·وهكذا تفتحت أمام ابن رضوان ابواب الثروة والجاه والشهرة حتى تجاوزت اخباره كعالم في الطب حـدود مصـــــر ·

وكان ابن رضـــوان ذا مروءة سمحا في تعــامله مع الناس ، كريما يسعف المحتاجين ولا يسترد منهم ما يقرضهم من المال · كما كان متدينا بنزعة باطنية ، ويكثر من التعبد في اوقات فراغه من العمل ولا يقرب الخمرة ، وهو عف اللســان من معايب الناس · وكان من جانب آخر لحوحا في الرد على آراء معاصريه ، وعلى من سبقه من الاطبــاء ايضــا ، وفي ردوده سفاهة وتشنيع من غير تقيـد بالادب المهنى ، وما تفرضه المناقشة العلمية من التساهل والتواضع · وقد تكون نشأته الاولى وما قاسى فيها من ضنك العيش ، وعصاميته التى رفعته من مرتبة بائعى الخبز الى رئاسة اطباء مصر جميعا ـ قد يكون ذلك ما جعله ميالا الى النقـد والقــدح ، والعنف في عرض شكوكه واعتراضاته على انداده ومنافسيه ، كما يحتمل ان تكون بشرته الداكنة وخلو وجهه من الوسامة سببا آخر لتصرفاته غير الحميدة · كذلك يحتمل ان يكون ابن رضوان متأثرا بقدوته جالينوس الذى كان مغرورا بنفسه خشــنا مع زملائه(١٢) مما جعله يدرج على ذلك الســلوك المعيب · وحين التقى ابن بطلان البغدادى(٢٣) بابن رضوان في القاهرة لاول مرة ، ورأى وجهه الخالى

من الملاحة سماه تمساح الجن ، ثم هجا خلقته وخلقه نثرا وشعرا . فاغتاظ ابن رضوان منه وكتب في ذلك ان لا تكون ملاحة الوجه لازمة للطبيب الماهر • كما رد على هجاء ابن بطلان وسجاياه بالذم الشنيع •

والمساجلة الكلامية بين هذين الطبيبين ابرز ما يربط بين شخصيتهما ، ومثال للمناقشات والمنافسات بين علماء ذلك الزمان (١٤) • ولا يذكر ابن رضوان حتى في الزمن الحاضر الا ويذكر معه ولو في البال ، ابن بطلان وبالعكس • فهما ضدان دائما التلاقى في ذكر حياتيهما •

واعتاد ابن رضوان منذ نهض بمزاولة الطب وحتى اخر حياته ، ان تكون اعماله مجدولة ، يوما بعد يوم ، ويطور هذه الجداول بحسب ما تقتضيه الظروف والاحوال وكان لاستقبال تلامذته نصيب في تطبيق هذه الجداول •

ويذكر ان ابن رضوان كان يمارس مهنته على قدر ما يحتاجه لتقويم بيته ومن فيه ، ويرتاح عادة قبل تناول طعامه الذى يختاره بنفسه بما يوافق مزاجه ويحفظ عافيته • كما كان ابن رضـــوان محبا لامتلاك الجـوارى ، وربما كان له منهن اكثر من زوجة واحدة وكان ذلك بعد ان بلغ الثلاثين من عمره ، وانجب ولدا وعدة بنات توفوا قبل ان يبلغوا عمر الصبا • وكانت أم ابن رضوان قد توفيت بعمر الثلاثين أما أبوه فتوفي في الاربعين أو نحو ذلك •

وكانت نهاية ابن رضوان محزنة ، فقد تبنى صبية يتيمة فسرقت من بيته ما خف حمله وغلا ثمنه واختفت • واذ كان ابن رضوان رثوى البنية ، بلغمى المزاج على ما قاله هو عن نفسه ، فقد تأثر بهذه الخيـانة ، واضطرب عقـله على اثرها (١٥) ،وتوفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م • وقيل بعد ذلك بسبع سنين أو اكثر • ومن تلاميذه افرايم بن الزفان والبرتانى(١٦) •

عصر ابن رضـوان ومن زامنه من الاطباء :

عاش ابن رضـوان في القاهرة طيلة حياته ، ولم يعرف بتأكيد انه غادرها الى اى مكان خارج مصر · وقد وقعت حياته في منتصف خلافة الفاطميين بمصر بعد انتقالهم من المهدية بتونس الى عاصمتهم القاهرة بمصر في أيام الخليفة المعز لدين الله المتوفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م ·

وقد (عرف المصريـون بتلك الحقبة بحب الملذات والميـل الى الشـهوات ، والاعتقاد بالخرافات ، فلا يعملون شيئا تافها كان أو مهما الا بعد ان يستشيروا السـحرة والمنجمين(١٧) · ولهذا السبب كثـر في مصر يومذاك من يمارس هاتين الصـناعتين · على ان اكثـرية اولئك المنجمين لا يعرفون من النجـامة الا بعض مصطلحاتها ، ولا يملكون من أدواتها في التطبيق الا (الزايجات) ، وهى جداول فلكيـة تحـاكى الى قـدر مـا الزيـج الذى كان يسـتعمله المنجمـون في المشرق الاسلامى (١٨) ·

من جهة اخرى شجع الخلفاء الفاطميون على نشر المعرفة بين طبقات شعوبهم . وعضدوا العلماء واكرموهم ، واستقدموا الى مصر أكابر الاطباء من مختلف الاقطار الاسلامية · كما كان كثير من هذه الفئات تقدم الى مصر سعيا وراء المال أو الحياة بظل الخلفاء والامراء الفاطميين·كما دخلها الاطباء الاندلسيون وهم في طريقهم لاداء فريضة الحج ، فأغرتهم نعم مصر الكثيرة فآثروا الاستقرار فيها ، الا انهم جميعا لم ينجحوا في منافسة ابن رضوان كطبيب ممارس ·

وكانت أيام ابن رضوان على منحدر العصر الاسـلامى في المشرق ، الا ان شخصيته العلمية في الطب والتنجيم والفلسفة كانت مع ذلك لامعة ، وطاغية على من زامنه من اطباء الخلفاء الفاطميين ، كما ساعده الحظ للوصول الى هذا المركز المرموق في بلاط الفاطميين اذ اعقب طبيبهم القبطى ابن نسطاس الذى لم يكن له مقام بارز بين زملائه من الممارسين ، ولا ترك كتابا في علوم الطب ، فكان بهذا على طرف نقيض من خـلفه ابن رضـوان ، الكثير الانتاج في تأليف الكتب ، وفي الافكار الطبية المبتكرة ·

وكانت مصر على مدى حكم الفاطميين فيها تعج بالاطباء النصارى واليهود

وقد حصلوا بجاه الخلفاء على منازل عالية بين الناس ، ثم فقدوها في أيام ابن رضوان ، فاستفاد هذا ، وهو الطبيب المسلم والفاطمى النزعة من هذ التبدل في سياسة الحكام ضد الذميين فائدة ملحوظة ·

وزامن ابن رضوان الطبيب البغدادى ابن بطلان الذى وقف خصما عنيدا لافكاره في ممارسة الطب وفي طريقة تعليمه · ورحل ابن بطلان الى مصر وراء الكسب والجاه بظل الخلفاء ، وتقابل مع ابن رضوان وصار النقاش بينهما سجالا وعنيفا في اطار ما اختلفا فيه ، الا ان ابن بطلان لم يكسب جولة علمية على ابن رضوان ، ذلك لانه كان يحارب بسلاح اللغة بينما كان ابن رضوان اكثر علما وموضوعية في ذلك الخصام ·

وزامن ابن رضوان فيلسوف الاطباء المسلمين أبا على الحسين بن سينا المتوفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، الا انهما لم يتقابلا ، كما لم يدخل ابن سينا أية حاضرة عربية ، فكان ميدان عمله في بلاد ايران والمشرق ، وعلى هذا لم يكن له تأثير من اى نوع أو درجة على سمعة ابن رضوان في مصر · أما الطبيب العجوز ابو الفرج بن الطيب البغدادى(١٩) المعاصر لكل من ابن سينا وابن رضوان فكان معلما ممتازا في الطب النظرى، ومفسرا قديرا لكثير من المؤلفات اليونانية، وصاحب رأى في الفكر الفلسفى ، فهو في الحقيقة منافس الى حد ما لابن سينا وليس لابن رضوان · أما الجراح اليهودى المعروف باسم : الحقير النافع(٢٠) فكان كسولا قليل الهمة ولم يكن له صيت بين الاطباء الا بعد ان عالج الحاكم بامر الله الفاطمى حين اشتكى من جرح في رجله، فلما برأ منه خلع عليه هذا لاسم الفريب ولم يعرف له اسم آخر ·

وكان في خدمة الحاكم ايضا ومن تلاه من الخلفاء الفاطميين حتى أيام المستنصر بالله المتوفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عدد اخر من الاطباء ، الا انهم جميعا لم يرتفعوا الى مرتبة ابن رضوان في الشهرة وممارسة المهنة ·

أفكار ابن رضوان في تعليم الطب :

تولع ابن رضوان بالبحث في موضوع تعليم الطب واستقصى تأريخه وتطوره منذ أقدم الازمان · وله في ذلك ثلاثة كتب هى :

١ ـ مقالة في مذهب ابقراط في تعليم الطب : ويعتبر هذا الكتاب من المفقودات ٠

٢ ـ الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب الذى هو قيد التحقيق في هذا الكتاب ٠

٣ ـ مقالة في شرف الطب (٢١) ٠ والكتابان الاخيران يكمل كل منهما الاخـر ، والثاني منهما على صغره شيق وكثير الفائدة ٠

وقد يـكون حرص ابن رضـوان على البحث في موضوع تعليم الطب بسبب ما عاناه هو نفسه في تعلم هذه الصناعة ، وما لمسه في مستويات من كان يعلمها ٠ ولما كان ابن رضوان عصاميا في تكوين شخصيته العلمية الناجحة التى اعتمدها على قراءة كتب الطب لا على دروس شيوخه ، فقد دعا الى تعلم هذه الصناعة بالطريقة التى درج هو نفسه عليها٠وكانت الدعوة الى هذه الطريقة الغريبة في تعلم الطب أحد اسباب الخلاف الحدى الذى احتدم بينه وبين معاصره ابن بطلان ٠ ورأى ابن رضوان بهذه الطريقة في تعليم الطب خاص بشخصه فلم ينتحلها طبيب جاء قبله أو بعـده ٠

وكان من رأى ابن رضـوان وهـو غير مصيب به ، ان لا ضرورة للطبيب الممارس ان يتقن علمى اللغـة والنحـو في العربيـة ، فالقليـل منهمـا كاف له ولهذا السبب لم يحتفظ ابن رضوان في خزانة كتبه الا بقليل من كتب الادب ٠ فكانت جـل مكتبته من مؤلفات ابقـراط وجالينوس ومن كان قريبا من مرتبتهما العلميـة كديا سـقريدوس العين زربى (٢٢) ٠وبطليموس القلوذى (٢٣) وابى بكر الرازى (٢٤) ٠

والغريب ان ابن رضـوان لا يرى دراسة صـناعة احكام النجوم ضرورية في تعليم الطب ، ولا للطبيب الممارس ، وهو رأى يعارض ما كان متعارفا عليه بين الاطباء في العصور الاسلامية وما قبلها ، وخصوصا في مصر أيام ابن رضوان ٠

وينقـد ابن رضـوان كتب الكنانيش (٢٥) والكتب المختصرة الاخـرى ، ويعتبرها لا تصلح للتعليم ، ومفسدة للمتعلمين ٠ وينصح بالاعتماد على مؤلفات ابقراط وجالينوس حصرا ٠

اسلوب ابن رضوان في التأليف بالطب

يبدو مما نشر من مؤلفات ابن رضوان ، وهى قليلة لا تتجاوز ثلاثة كتب ، انه موضوعى حين يكتب ، وتعابيره مقتضبة دون اخلال بالمعنى . وتسلسل تفكيره مستقيم في نطاق الموضوع الواحد ، الا انه كثيرا ما يكرر اللفظ والمعنى في مؤلفاته الواسعة ، وهذا ما نجده بكثرة مملة في كتابه النافع في تعليم صناعة الطب . ولو صح وكان كتاب (كفاية الطبيب) (٢٦) من مؤلفات ابن رضوان وغير منحول عليه كما نعتقد ، لاعتبرناه افضل ما عرفنا من مؤلفاته من حيث الاسلوب والاستطراد العلمى بمادة الموضوع الواحد . وفي الكتاب النافع يبدو ابن رضوان ـ كما في كتبه الاخرى ـ متأثرا بافكار جالينوس الى حد كبير ، وهو يعتبر هذا الطبيب سيد الاطباء علما وسلوكا ، ومؤلفاته مثالية لا نقص فيها ولا نقض عليها ، ولا يصل الى مستواها مضارع ، وان من لا يحتذى باسلوب واضعها في التأليف فليس طبيبا ماهرا بأية حال .

ومن فرط اعجاب ابن رضوان واعتماده على افكار جالينوس في الطب ، كان يرجع اليه حتى في أحلامه ، وقد استشاره ذات ليلة في علاج صداع أزمن عليه وافقده الراحة ، فنصحه جالينوس في تلك الرؤيا ان يفصد القمحدوة (٢٧) ليبرأ من شكواه ففصدها حين أصبح وبرأ (٢٨) .

وابن رضوان يغفل ذكر ابقراط حين يكتب في الطب في المواضيع التى سبق بها هذا الطبيب خلفه جالينوس ، الا انه لا ينسى ان يذكرهما معا اذا اقتضى ما يستوجب الثناء على احدهما .

ومع ان ابن رضوان لا يرتاح الى المؤلفات الطبية الصغيرة التى وضعت على شكل مختصرات أو شروح أو كنانيش ، فانه مع ذلك قد وضع اكثر من خمسة عشر شرحا وتعليقا على بعض مؤلفات ابقراط وجالينوس .

ووضع ابن رضوان كتبا في الطب الجغرافي كان منها كتاب دفع مضار الابدان عن ارض مصر(٢٩) ، ومقالة في هواء مصر ، ورسالة في أزمنة الامراض . وهذه

التفاتة من ابن رضوان الى هذا النوع من التأليف لم نعثر على مثلها في اعمال كثير ممن سبقه من الاطباء العرب ٠

ويؤخذ على ابن رضوان في مؤلفاته أسلوبه الخشن في نقد من سبقه ومن زامنه من الاطباء ، واستعمال ما لا يليق من التعابير حين يحاجج من يعارض افكاره الطبية ، ومواقفه مع ابن بطلان شهود على ما في ردوده عليه من ضعف التبرير لعناده الملح ٠ كما ان ردوده على حنين بن اسحاق (٣٠) المشحونة بالافكار غير العلمية توحى وكأنه مدفوع الى ذلك الموقف بدافع الغيرة والحسد لا لتعديل الاخطاء العلمية كما يقتضيه النقد لصالح العلم والمتعلمين ٠ أما هجومه على أبى بكر الرازى في آرائه بصنوف الاخلاط فهو بالاختصار مثلبة عليه لا مثوبة له ٠

مؤلفات ابن رضوان :

ابن رضوان مكثر في تأليف الكتب ، فله منها قرابة المائة كتاب ، اكثرها في العلوم الطبية ، الا انه لم يصل منها الينا الا القليل ٠ وقد سجل ابن ابى أصيبعة اكثر اسماء مؤلفاته (٣١) ، في حين لم يذكر ابن القفطى منها الا كتابين (٣٢) ٠ فقط ٠ وفي كل من تأريخ الادب العربى لبروكلمان (٣٣) ، والطب الاسلامى لألمان (٣٤) بيان لاكثر مؤلفاته ومظان مخطوطاتها في المكتبات العالمية ٠

من بين مؤلفات ابن رضوان ستة شروح وتسع تعاليق على مؤلفات جالينوس ، مع العلم انه لم يكن يفضل ترويج امثال هذه التآليف كما ذكرنا ذلك آنفا ٠ كما انه وضع سبعة كتب في نقد وذم ابن بطلان ٠ من جهة أخرى لم يضع ابن رضوان الا بضعة كتب في صناعة التنجيم التى مارسها وعاش على مردودها ردحا من عمره ٠ على انه عاب من يمارس هذه الصناعة حين لا يكون على معرفة كافية بها ، وحذر الناس من خداع هذه الفئة في تطبيقها عليهم(٣٥) ٠

ويسترعى الانتباه في قائمة مؤلفات ابن رضوان انه لم يضع الا كتابا واحدا في العلوم الجراحية وهو الذى سماه كتاب الاورام ٠ ولان هذا الكتاب لا يزال مفقودا ، فلا يعرف فيما اذا كانت مضامينه في جراحة الاورام أو في اعراضها وعلاماتها فقط ، علما بان ابن رضوان يرتئى ان يكون الطبيب ملما بالعلوم

الجراحية وتطبيقها ومتمكنا من اجراء عملياتها ، فقد تنهض (كما يقول) حاجة عاجلة الى تنفيذها حين لا يتوفر من يختص بعملها ٠

ولم يؤلف ابن رضوان كتابا في علم وظائف الاعضاء ، في حين صال وجال بموضوع الاخلاط وطرائق تولدها في النقد الذى وجهه الى ابى بكر الرازى فيما ضمنه عن الاخلاط بكتابه المدخل في الطب (٣٦) ٠

الهوامش

(١) اقـرأ عن ابن رضـوان في تاريـخ الحكماء لابن القفطى ص ٤٤٣ ــ ٤٤٤ ، وعيون الانباء لابن أبى أصيبعة ص ٥٦١ ــ ٥٦٧ ، والنجوم الزاهرة لابن ثغرى بـردى ٥/٦٩ ، وتأريـخ مختصر الدول لابن العبـرى ص ١٩٠ ــ ١٩٢ ، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلى ٣/١٩١ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٥٩٦ ، وايضاح المكنون للبغدادى ١/٤٧٤ وهدية العارفين للبغدادى ١/٦٩٠ ، وفي ادب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ص ٨٤ ، وعقود الجواهر لجميـل العظـم ص ١٦١ ــ ١٦٦ ، ومعجم المؤلفين لرضـا كحالة ٧/٩٤ ، والاعلام للزركلى ٥/١٠٠ ، وجريدة النهار البيروتية عدد ١٣٤٠٥/١٩٧٧ ٠ مكتبة دانشكاه ــ طهران ٨٦٧ مكتبة المجلس النيابى ــ طهران ١٤ ٠ و :

Leclerc — hist. medic. arabe, 1/525 — 530, brockelmann— Gal, 687, S.I. 886.

Schacht and meyerhof — medico — philosophical controversy between ibn radwan an ibn butlan, P.51 — 53.

Sarton — introduetion. history of science 729 off.

Ullmann—medic. im islam, P. 158—159.

Brown — arabic medicine, P.70 — 71.

(٢) ينتسب الفاطميون الى عبيدالله المهدى الذى تغلب على الحكام الاغالبة في تونس وأسس فيها دولة فاطمية امتدت الى المغرب الاقصى ٠ وكان من احفاد المهـدى الخليفة المعز لدين الله الذى فتح مصر واسس فيها مدينة القاهرة لتكون عاصمة ملكه بدل المهدية بتونس ٠ انقرضت دولة الفاطميين بقوات الايوبيين سنة ٥٦٧هـ/١١٧٦م ٠

(٣) ابن القفطى ــ تاريخ الحكماء ص ٤٤٤ ٠

(٤) المصدر المتقدم ص ٤٤٣ ٠

(٥) ابن ابى أصيبعة ت نزار رضا ١٩٦٥ ص ٥٦٣ ٠

(٦) النجوم الزاهرة ص ٥/٦٩ ٠

(٧) شذرات الذهب ٣/٢٩٣ ٠

(٨) ابن ابى أصيبعة ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ٠

(٩) أبو الصلت الدانى ـ الرسالة المصرية ص ٣٩ ٠

(١٠) ابن أبى أصيبعة ص ٥٦١ ٠

(١١) ابن نسطاس ـ أبو يعقوب بن ابراهيم بن نسطاس بن جريج ٠ قبطى ، من اطباء الحاكم بامر الله الفاطمى المتوفي سنة ٤١١هـ/١٠٢١م (ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٤) ٠

(١٢) قال جالينوس في نقد الطبيب الرومانى اسقليبيادس (القرن الثانى ق٠م)٠٠ فانه لم يستحى ولم يخز من القدماء ولا من الحق ، لكنه بالصلف منه والكبر أو بخبث السريرة وسوء العزيمة والتقحم فيما يستبشع ٠٠٠ (كتاب جالينوس في التجربة الطبية ـ اعداد ولسر ، اوكسفورد ١٩٤٤ ، ص ١) وما اشبه هذا القذف باسلوب ابن رضوان في نقده لحنين بن اسحاق وابى بكر الرازى في المقالة الثانية من الكتاب النافع ٠

(١٣) ابن بطلان ـ هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ٠ نشأ في بغداد وتعلم الطب على ابى الفرج عبدالله بن الطيب ، وسافر الى ديار الشام وآسيا الصغرى ، توفي في القسطنطينية سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣ ، وله مؤلفات قيمة في الطب (ابن القفطى ص ٢٩٤ ـ ٢٢١٩ ، ابن أبى أصبيعة ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨)٠

(١٤)
Medico — philosophical controver sy detween ibn butlan of bashdad and ibn ridwan of cairo by schecht and merhof ·

(١٥) ابن أبى أصيبعة ص ٥٦١ ٠

(١٦) افرايم بن الزفان ـ هو ابن الحسن بن اسحاق بن يعقوب ٠ اسرائيلى المذهب ومن الاطباء المشهورين في مصر أيام الفاطميين ٠ ولوع بجمع الكتب وله من تأليفه كتاب مجربات فيالطب ، وكتاب المصلحة الطبية في الاحوال البدنية ، ومقالة في التقرير القياسى على ان البلغم يكثر تولده في الصيف والدم والمرار الاصفر في الشتاء (ابن أبى أصيبعة ص ٥٦٨) ٠

(١٧) ابن أبى أصيبعة ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

(١٨) المصـدر المتقـدم ٠

(١٩) أبو الفرج عبدالله بن الطيب ـ فيلسوف ، ورجل دين ، وطبيب ، ومفسر قدير للكتب اليونانية ٠ نشأ في بغداد ، وصار له تلاميذ كثيرون صاروا من اعلام الطب فيما بعد ٠ توفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م (ابن القفطى ص ٢٢٣ ، ابن أبى أصيبعة ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥) ٠

(٢٠) ابن أبى أصيبعة ص ٥٤٩ ، ابن القفطي ١٧٨ ٠

(٢١) احمد عطية الله ـ القاموس الاسلامى ٤/٨٣ ٠

(٢٢) ديوسقريدس ـ يونانى من عين زربى بديار الشام واليها ينسب ٠ عمـل جراحا في جيش الامبراطور نيرون (٣٧ ـ ٦٨م) كما ولع بدراسة الاعشاب الطبية وله فيهـا أشهر كتاب عند اليونانيين ، وقد ترجم هـذا الكتاب الى العربية اربع مرات على الاقـل لم يصل الينا منها الا ترجمة اصطيفان بن باسيل ٠

(٢٣) بطليموس القلوذى ـ اسكندرانى ٠ فلكى ومنجم وجغرافي ٠ عاش فيما بين ٩٠ ـ١٦٨م ٠ أشهر مؤلفاته كتاب المجسطى (ابن النديم ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨)٠

(٢٤) الرازى ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، طبيب العرب بلا منازع ٠ ولد ونشأ في الرى ٠ عمل صائغا في اول عمره وكان يومئذ يغنى ويضرب بالعود ٠ وسافر الى بغداد وفيها تعلم الطب وعاد الى الرى وعمل في بيمارستانها ورجع الى بغداد وتوفي بحدود سنة ٣١١هـ/٩٢٣م بعمر يناهز الثامن والخمسين سنة ٠ من تصانيفه الكثيرة كتاب الحاوى في الطب وهو الذى يتكرر ذكره في

هذه الدراسة (ابن النديم ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ ، تأريخ الحكماء لابن القفطى ٢٧١ ـ ٢٧٧ ، ابن ابى أصيبعة ص ٤١٤ ـ ٤٢٧ ، تأريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٢١ ، ٢٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٩/٣ ، رضا كحالة ٦/١٠) ٠

(٢٥) الكنانيش ـ أو الكناشات ومفـردها كناش وكناشة ، وهى اوراق تجعـل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد (تاج العروس ٣٤٧/٤) والكلمة آرامية مشتقة من الفعل كنش أى كنس ٠ وتستعمل في الطب بمعنى كتاب مختصر في معارف هذه الصناعة ٠

(٢٦) ك ٠ كفاية الطبيب ـ أو الكفاية في الطب المنسوب الى ابن رضوان المصرى دون ثبوت قاطعة ٠ نشره سلمان قطاية في بغداد سنة ١٩٨١ ، ومخطوطة أصل الكتاب في مكتبة غوته برقم ١٩٥٢ ٠

(٢٧) قمحدوة ـ تعبير طبى يعنى الجزء الخلفى الناتى من عظم الرأس ، وجمعها قماحد (المعجم الوسيط ٧٥٨/٢) ٠

(٢٨) ابن أبى أصيبعة ص ١٩

(٢٩) هذه الكتب هى : دفع مضار الابدان ، مقالة في هواء مصر ورسـالة في ازمة الامراض (ابن أبى أصيبعة ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ٠

(٣٠) حنين بن اسحاق ـ أبو زيد ٠ طبيب ومترجم ٠ وكان أبوه صيدلانيا في الحيرة وتعلم حنين العربية في بلاد فارس على تلاميذ الخليل بن احمد الفراهيدى واليونانية في بلاد الروم والاسكندرية ، والطب على يوحنا بن ماسويه ٠ وقد خلف استاذه في رئاسة الترجمة في أيام الخليفة المأمون ، توفي سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣ بعمر الثلاث والستين (ابن القفطى ص ١١٧ ، ابن أبى أصيبعة ص ٢٥٧ ـ ٢٧٤ ، ابن النديم في الفن الثالث من المقالة السابعة ، تأريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ١٦ ، الاعلام للزركلى ٣٢٥/٢) ٠

(٣١) مؤلفات ابن رضوان في ابن أبى أصيبعة ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧ ٠

(٣٢) مؤلفات ابن رضوان في ابن القفطى ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ٠

(٣٣) مؤلفات ابن رضوان في بروكلمان Brockeimann — gal, 1/484

(٣٤) Ullmann — medicine l,m islam. P. — 159.

(٣٥) لابن رضوان رسالة في التنبيه على حيل من ينتحل صناعة القضايا بالنجوم وتشرف اهلها (ابن أبي أصيبعة ص ٥٦٧) .

(٣٦) لابى بكر الرازى كتاب المدخل الى صناعة الطب بمقالتين (ابن أبي أصيبعة ص ٤٢٤ ، Sezgin, 3/284. دار الكتب ـ القاهرة برقم ٤٣٠٨ . باريس ١/٢٨٦٥) وقد طبعته جامعة سلمنقة سنة ١٩٧٢ .

القسم الثاني

١ ـ التعريف بالكتاب النافع ٠

٢ ـ مضامين المقالة الاولى من الكتاب ٠

٣ ـ مضامين المقالة الثانية من الكتاب ٠

التعريف بالكتاب النافع في كيفية تعليم صـناعة الطـب

ليس لهذا الكتاب القيم ذكر في التراثيات العربية باستثناء كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة ، وفيه يقول : انه بثلاث مقالات(١) • ولم يزد على ذلك •

وقد عثر الباحثون على مخطوطتى المقالتين الاولى والثانية وكل واحدة منهما في مجلدة منفصلة عن الاخرى ، وفي بلد غير البلد الذى وجدت فيه الثانية ، فكانت المقالة الاولى في دار الكتب المصرية ، والمقالة الثانية في خزانة جستر بيتى بدبلن ، فكأن الكتاب النافع قد شطر لسبب ما الى ثلاثة أقسام ، في كل قسم منها مقالة واحدة ، وبقى ان يعثر على المقالة الثالثة ليكون قد تم العثور على الكتاب النافع كاملا • على ان هناك من يقول باحتمال ان يكون الكتاب بمقالتين فقط بالرغم مما ورد في كتاب العيون لابن أبى أصيبعة • وليس للاحتمال المذكور دليل قاطع ، أما الاستاذ اربرى فقد قال في فهرسه :

Arberry, arther.j — hand list of the arabic manuscripts in the chester betty library. vol. 5. 1962. P.9.

ما يلى (النافع في كيفية تعليم صناعة الطب تأليف ابى الحسن على بن رضوان بن على ابن جعفر المتوفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م •• وهذه النسخة في ٣٧ ورقة غير مؤرخة كتبت في القرن الثامن الهجرى والقرن الرابع عشر الميلادى ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٤٨٣ طب • راجع بشأنه Schacht — zdmg Vol. 90 , P. 536

وقد حاول اربرى نفسه ان يطبع الكتاب بتقريب النسختين فلم يفلح (٢)•

وفي معهد المخطوطات العربيـة نسخة مصـورة من نسخة دار الكتب المصرية وضعها الاستاذ ابراهيم حبوش في فهرس المخطوطات المصورة (الجزء الثالث ، علوم ـ القسم الثاني ، طب ـ القاهرة ١٩٥٩ ص ١٩٢ رقم ٢٦١) وقال : النافع في (كيفية تعليم) صناعة الطب ، كتبه على ثمانية أبواب ، ونسخة حديثة من مجموع مؤرخ

سنة ١١٩٦هـ في ٣٧ ورقة • ويبدو ان الاستاذ حبوش يتكلم عن نسخة دار الكتب المصرية وكأنها هى الكتاب النافع باكمله في حين ان هذه النسخة لا تحتوى الا على المقالة الاولى من الكتاب • وتتضح هذه الحقيقة فيما ذكره الاستاذ نفسه من ان نسخة دار الكتب المصرية بثمانية ابواب وهذه هى عدد ابواب المقالة لاولى وحدها دون ابواب المقالة الثانية •

١ ــ نسخة دار الكتب المصرية (رقم ٤٨٣)

حجم هذه المخطوطة ست وعشرون ورقة ، بمعدل خمسة وعشرين سطرا في الصفحة الواحدة ، وعشر كلمات في السطر الواحـد • وهى مكتوبة بخط النسخ المعتاد ، الا ان الكتابة فيها مطموسـة بسبب رداءة مادة الحبـر أو سـوء تصوير المخطوطة • فكانت قرائتها في منتهى الصعوبة ، ومستحيلة في بعض أقسامها ، فضلا عما فيها من صور الخروم والفراغات فيما بين الكلمات • والعيب الاكبر فيها هو ان اوراقها رتبت اثناء التصحيف دون اعتبار تسلسل مواضيعها ، أو تعاقب متونها ، بالرغم من وجود تعقيبة في نهاية جميع صفحاتها • على ان بعض هذه التعقيبات هى الاخرى قد غطتها بقع من الحبر أو الرطوبة ، أو انها اختفت بسبب الخروم التى لا يكشفها التصـوير • وقد حاول المستشرق اربرى ان يوفق بين صـفحات هـذه المخطوطة فلم يفلح • وانتبهت بمحض الصـدفة الى الخطـأ الذى وقع في تصحيف أوراق المخطوطة ، فاعدت ترتيب صفحاتوا على الوجه الصحيح قبل الشروع بتحقيقها•

واسترعى انتباهى عدم افتتاح هذه المخطوطة بالعبارة التقليدية (قال ابن رضوان الخ) أو مثل ذلك مما اعتاد المؤلفون المسلمون ان يصدروا بها مؤلفاتهم• كما ان الصفحة الاولى من المخطوطة قد كتبت بخط واضح يختلف كليا عن خط متن المخطوطة ، وهو شبيه الى حد كبير بخط مخطوطة المقالة الثانية الموجودة في مكتبة جستر بيتى • واكثر الاحتمال ان هذه الصفحة قد كتبت بعد سقوط الورقة الاولى من أصل المخطوطة فعوضت بصفحة بديلة كتبها ناسخ آخر على مخطوطة أخرى لهذه المقالة ، أو هو ناسخ المقالة الثانية من الكتاب • كذلك ليس في آخر المخطوطة ذكر لاسم ناسخها ولا سنة النسخ • ومن الصعب تقدير عمر المخطوطة من صورتها الفوتوغرافية •

في صـــدر الصفحة الاولى من المخطـوطة عبارة البسملة ، وفي اسفلها مباشرة عبـارة (الكتاب النافع في كيفية تعليم صـــناعة الطب) ، يلى ذلك في سطر جـديد عبارة (لمؤلفه على بن رضوان المصرى) ثم يتبع ذلك جرد بمحتويات المقالة الذى يضم ثمانية ابواب بالتفصيل الاتى :

الباب الاول : في سبب وضع هذا الكتاب ·

الباب الثاني : في كيفية تعليم العلماء صناعة الطب ·

الباب الثالث : في الاسباب الماحية لمحاسن صناعة الطب ·

الباب الرابع : في اغراض كتب ابقراط ونحو تعليمه ·

الباب الخامس : في كيفية تعليم جالينوس ·

الباب السادس : فيما ينبغى ان يتقدم صناعة الطب ·

الباب السابع : في الطريق النافع في تعليم صناعة الطب ·

الباب الثامن : في اختصار الاسكندرانيين على عشرين كتابا من كتب ابقراط وجالينوس ·

وتنتهى مصورة هذه المخطوطة بعبارة : كملت المقالة الاولى من الكتاب النافع بحمدالله ، وتليها المقالة الثانية ان شاء الله تعالى ·

٢ ـ نسخة جستر بيتى (رقم ٤٢١) :

حجم هذه النسخة سبع وثلاثون ورقة مكتوبة بخط نسخ يكاد يكون جيدا · الا ان كثيرا من كلماتها غير منقوط ، وفيما بينها كثير من الفراغات التى يحتمل ان تكون بسبب خروم لا يكشفها التصوير · وهى غير مؤرخة ايضا ، وليس فيها ذكر لاســم ناسخها ·

في صدر الصفحة الاولى من هذه المخطوطة عبارة البسملة ، وتحتها مباشرة عبارة (كتاب النافع تأليف على) ثم في سطر ثالث (ابن رضوان بن جعفر) · وتحت هذه العبارة في سطر جديد عبارة (الطبيب المصرى) · وهكذا تكون محتويات هذه الصفحة بالشكل الاتى :

بســم الله الرحمن الرحيم

كتاب النافع تأليف على
ابن رضــوان بن جعفر
الطبيب المصرى

وتنتهى هذه المقالة بعبارة (... الى ان تصير طبيبا فاضلا وفيلسوفا كاملا ان شاء الله)· وتحت هذه العبارة الاخيرة عبارة (كملت المقالة الثانية من الكتاب النافع والحمدلله · وله مقالة ثالثة · هكذا وجدت في طبقات للاطبا) ·

وتضم هذه المقالة ثلاثة أبواب :

الباب الاول : في الاسباب المغلطة لواضعى الكتب في الطب بعد جالينوس ·

الباب الثاني : في ان حنينا (٣) يغلط ويخطىء في مصنفاته أغاليط ضارة في صناعة الطب ·

الباب الثالث : في ان الرازى يظن انه قد فهم ما في كتب جالينوس وليس ماظن ذلك صحيح ·

٣ ـ منهج ابن رضــوان في الكتــاب النافع :

ادخل ابن رضوان في كتابه النافع مجموعة من معلومات تأريخية وعلمية في الطب ، ومن مارسه ، وفي اسلوب تعليمه منذ عرفت هذه الصناعة عند اليونانيين الى أيامه في منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى · ولم يسلسل ابن رضوان مضامين الكتاب بحسب التواريخ ، أو التدرج في تطور الافكار الطبية ، فهو ينتقل في حديثه من موضوع الى موضوع ليس بينهما صلة علمية أو تأريخية · كما يكثر من التكرار في اللفظ والمعنى لا في الابواب المختلفة فقط بل حتى في الباب الواحد · وفي بعض عباراته ابهام ومعانى مغلقة ، وبخاصة حين يتكلم في موضــوع الاخلاط ·

ويهتم ابن رضوان اشد الاهتمام بآراء الاطباء اليونانيين ، وبصفة خاصة بافكار ابقراط وجالينوس · ويعتبر هذين الطبيبين مما لا يصح ان يتطاول أحد

عليهما بالنقد أو الشكوك • كما يعتبر الاسلوب الطبى الذى انتهجاه في التعليم خير الاساليب عموما في هذا الميدان • الا ان ابن رضوان لم يكن واضحا في شرحه طريقة تعليم هذين الطبيبين •

وما ضمن ابن رضوان كتاب النافع من المعلومات التأريخية كثير جدا الا انه لم يذكر مصادره في ذلك • ومن الواضح انه أخذ عن اسحاق بن حنين[٥] • في كتابه تأريخ الاطباء (٥) ، الا ان بعض ما ضمنه في الكتاب النافع يزيد أو يختلف عما ورد في كتاب اسحاق بن حنين • وقد يكون ابن رضوان أخذ هذه الزيادة عن يحى النحوى الاسكندرانى (٦) مباشرة ، أو عن أبى الفضل جعفر (ت سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م) ابن الخليفة المكتفى بالله في كتابه اخبار الحكماء[٧] ، وهذان الكتابان لم يصلا الينا لنعرف منهما حقيقة ومقدار ما أخذ منهما ابن رضوان في الكتاب النافع •

٤ ـ منهجنا في تحقيق الكتاب النافع ودراسة مضامينه

١ ـ حققنا هذا الكتاب على نسخة المقالة الاولى الموجودة في دار الكتب المصرية ، ونسخة المقالة الثانية الموجودة في خزانة جستر بيتى فقط بعد ان فشلنا في الحصول على نسخ أخرى للمخطوطتين •

٢ ـ اعدنا كتابة المخطوطتين بعد ان صححنا ما فيها من اخطاء في رسم الكلمات أو تصحيفها • كما أظهرنا الكلمات الطامسة وملأنا الفراغات التى فيما بين بعض الكلمات ، وكانت هذه المهمة بالغة الصعوبة في المقالة الثانية • ثم قرأنا بامعان ماتوصلنا اليه من تثبيت المتون على الوجه الصحيح مع الاشارة في الهامش الى الخطأ الذى في أصل المخطوطة •

٣ ـ لم نتصرف في وضع عناوين المواضيع الرئيسية في المخطوطتين بشكل ورسم خاص ، مفضلين الابقاء عليها كما وضعها الناسخ ، أو كما كتبها المؤلف •

٤ ـ استعرضنا باختصار ما تنطوى عليه ابواب المقالتين الاولى والثانية ، واشرنا بنفس الوقت الى مايتفق منها مع ماهو وارد في التراثيات الاخرى، وقد يكون

اصبنا في ذلك الى قدر غير قليل في المقالة الاولى وبعض المقالة الثانية ·
ونأسف لعدم توفقنا بضبط كل ما ورد في البابين الاخيرين من المقالة الثانية ·

٥ ـ ادخلنا في استطرادنا بمضامين المقالتين الاولى والثانية بعض التعليقات على افكار ابن رضوان · ولم نضع هذه التعليقات بما يشير الى أنها من غير متون المخطوطتين لاعتقادنا ان القارىء سوف لا يجد صعوبة في معرفة ذلك ·

٦ ـ اعتمدنا بتوثيق اسماء الاعلام والمؤلفات الطبية على كتاب ابن القفطي في تأريخ الحكماء ، وابن أبي أصيبعة في عيون الابناء في طبقات الاطباء · كما ذكرنا بعض مظان المخطوطات في المكتبات العالمية اعتمادا على كتاب سزكين في تأريخ العلوم العربية · واعتمدنا في التعريف بالادوية على كتاب القانون لابن سينا ـ الجزء الاول ، وكتاب المختارات في الطب لابن هبل ـ الجزء الثاني ،

٧ ـ لكثرة الفراغات في سياق المخطوطتين ، والكلمات التي عجزنا عن قرائتها ، اضطررنا ان نوضح مواقعهما بالرموز الاتية ، وبمدلولاتها ازاء كل واحدة منهـا :

(   ) فراغ أو خرم ·

(··········) المكتوب بين القوسين لا يقرأ ، وعدد النقط يشير بصورة تقريبية الى مقدار الكتابة بينهما ·

[   ] المكتوب بين هاتين العضادتين صعب قراءته ، وغاية ما توصلنا اليه هو ما اثبتناه بينهما · كذلك ادخلنا الرموز الاتية بغية الاختصار ·

ت : بمعنى توفي أو المتوفي ·

هـ : السنة الهجرية ·

م : السنة الميلادية أو للميلاد ·

ك : كتـاب ·

٥ ـ مضامين المقالة الاولى :

تضم هذه المقالة ثمانية أبواب لا تسلسل فيما بين مضامينها ، فيكاد يكون كل باب منها بحثا مستقلا عما تقدمه أو ما تلاه من الابواب . الا انها بالاجمال ، لا تخرج بعيدا عن دائرة تعليم الطب ، واستعراض تأريخه ، وما يحوم حول ذلك . فذكر المؤلف في الباب الاول الاسباب التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب ، وهو بمثابة المقدمة التى اعتاد المؤلفون العرب ان يفتتحوا بها مؤلفاتهم .قال فيها : انه نفسه عانى كثيرا فى تعلم هذه الصناعة قبـل ان يقف على السـبيل الذى قاده الى معرفة فنـونها ، فرأى ان يرشـد من يطلب تعلمها الى تجنب تلك المتاعب ، فوضـع له ما يأخذه الى سبيل ذلك . ويبدو بصورة واضحة في هذا الباب ان ابن رضوان يعرض آراءه الشخصية في طرق التعليم بضرب الامثلة وذكر الاحداث التى تقع في ميدان هذا الموضوع اكثر مما يعرض بتفصيل طريقة واحدة من طرائق التعليم الطبى ، وبالاخص السريرى منه . كما يظهر ان تعليم الطب في أيام ابن رضوان كان بتفسير نصوص الكتب اليونانية التقليدية والتعليق عليها . والطالب هو الذى يقوم بقراءة النصوص ، أما دور المعلم فهو تفسير ما يقرؤه الطالب والتعليق عليه بما لديه من معلومات وخبرة شخصية في الموضوع الذى يتناوله النص . ولما لم يجد ابن رضوان ــ بحسب زعمه ــ من يحسـن تطبيق هذه الطريقة ، صـار يقرأ كتب الطب بنفسه ولوحده ، حتى توصل الى الالمام بمفاهيم هذه الصناعة .

وأجاد ابن رضوان في الباب الثاني باستعراض تأريخ صناعة الطب منذ بدء نشوئها حتى بلوغها الاكتمال في عهد جالينوس ، ثم اثناء انحدارها عبر العصور حتى وصولها الى المسلمين في القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى . وقال في ذلك ان الطب ظهر لاول مرة فى الجزر اليونانية الثلاث وهى رودس(٨) وقنيدس(٩) وقوص(١٠) . وفي مدرسة الطب بالجزيرة الاخيرة تخرج امام الاطباء اليونانيين ابقراط . وقال ايضا ان الطب في تلك الحقبة القديمة (القرن الخامس للميلاد وما قبله) كان من اختصـاص أعيـان الناس كالملوك والزهاد(١١) فلما بـاد في جزيرة رودس وقارب ان يبيد في قنيدس ، وحين آلت الصناعة الى رذل الخلق ، دون ابقراط علوم الطب برموز ولغوز(١٢) ليضمن الحفاظ عليها من الضياع والتلاعب بها . واوصى ولديه تاسلس ودراقن ان يعلماه لكافة الناس بعد ان يأخذوا منهم

عهدا على تطبيق واحترام اهدافه العلمية والانسانية ٠ ويستطرد ابن رضوان قائلا : واستقام الطب ووضح ونهض بعلومه وفنونه بفضل جالينوس الذى وضع قواعد لتعلمه ، وأوصى من يبتغى تعلمه ان يدرس المنطق والهندسة اولا ، وان يقرأ اصول الصناعة على تسلسل كتبه(١٣) ، وكتب ابقراط(١٤) التى وضعها للمتعلمين ٠ ثم قال : وجاء بعد جالينوس اورباسيوس(١٥) (٣٢٥ ـ ٤٠٣م) الذى أرتأى ان يختصر موسوعات الطب التى وضعها كل من ابقراط وجالينوس بكتب موجزة على المتعلمين ادراك مضامينها المتشعبة ٠ واستطرد قائلا وفعل مثل ذلك بولس الاجينى(١٦) من بعده ، كما تبعهما في طريقه تأليف هذه الكتب أبو بكر الرازى وغيره من الاطباء المسلمين ٠ وبذلك كثرت المؤلفات الطبية الموجزة التى تفسر علوم الصناعة بايسر الطرق واقصرها ، حتى اكتسحت هذه الكتب المختصرة مؤلفات ابقراط وجالينوس من مدارس التعليم ، فكان من نتيجة ذلك ان ابتذلت الصناعة وانحط مركزها العلمى(١٧) ، واندس بين علمائها من يمارسها وهو على غير معرفة كافية بها ، أو لا يعرفها البتة ٠

ويفهم من الباب الثالث ان الطب في زمن ابن رضوان قد انحدرت مرتبته العلمية وكادت تختفى افضاله عن الخلق ٠٠ فعزا ابن رضوان هذا الامر الى الاطباء انفسهم لاعتمادهم على غير مؤلفات ابقراط وجالينوس ، وعلى وصف الادوية للمرضى دون اختبار طبيعتها وقواها الشفائية بانفسهم ٠ وانحدر يلوم ذوى السلطة لانهم لا يراقبون الغش الذى يفعله تجار الادوية الذين لا تهمهم صحة الناس بقدر ما يهدفون اليه من الربح منهم ٠ وضرب أمثلة تفشى استعمال الادوية المزورة والترياقات(١٨) المغشوشة ، وما الى ذلك من الاعمال الصيدلانية الردية ٠

وفي الباب الرابع ركز المؤلف على أغراض كتب ابقراط ونحو تعليمه ، ولامه على عدم وضع مؤلفاته بوضوح، فجاءت مبهمة أو يعم فيها الاختصار والاقتصاد ، فنهض جالينوس بتفسير ما غمض فيها من نصوص واشارات ، وذكر بصفة خاصة من تلك المؤلفات كتاب الجنين(١٩) ٠ كما تحدث عن تفسير جالينوس لكتب ابقراط الاخرى ، والتعليق على تلك التفاسير بالمديح لما في تفاصيلها من دقة وأصالة ٠

وفي الباب الخامس عرج ابن رضوان على آراء جالينوس في قوى الادوية ، وطرق

العلاج باستعمالها ، مشيرا بنفس الوقت الى ان طريقة القياس مع التجربة(٢٠) في استطباب الادوية خير من احداهن على انفراد، وانثنى بهذه المناسبة يمدح ديوسقريدوس لانه اعتمد على الادوية التى عرفها عيانا لا خبرا عن الرواة أو الكتب ، وذكر أمثلة كثيرة من اعمال هذا العشاب الكبير ٠

كان ابن رضوان الى هذا الحد في هذا الباب واضحا فيما كتب ، ومسيطرا في عرضه للمادة العلمية ٠ فلما وصل بحديثه الى موضوع الامزجة(٢١) والاخلاط بدأ يتعثر في سرد افكاره وكأنه غير واثق مما يقول ٠

وينتقد ابن رضوان في هذا الباب فرقة من يعالجون بالحيل ، دون ان يمهد بمقدمة توضيحية في افكار واعمال اصحاب هذه الفرقة مما يسوغ له نقد أو قدح ما يرتؤنه في ممارسة الطب ٠ كما لم يفرق بين هذه الفرقة وبين فرقتى من يمارس بالتجربة ومن يمارس بالقياس ٠ بينما الفروق في الممارسة بين هذه الفرق الثلاثة كبير جدا ، وذات علاقة بتعليم الطب ٠

وقال ابن رضوان في الباب السادس ان من ينخرط في سلك هذه الصناعة واحد من اثنين ، أحدهما يهدف لكسب المال فيهون عليه كل عمل يحقق له الغنى ، فيقعد في الطرقات ليروج بيع الادوية التى يعالج بها المرضى ، وهو يتخذ لبوس العارفين بالصناعة ٠

والصنف الثاني ممن يطلب تعلم صناعة الطب هو الذى يريدها لشرفها ومحاسنها اكثر مما يرجو منها المادة والربح ٠ واستطرد ابن رضوان بهذا الصدد قائلا : ان جالينوس وضع كتابه محنة الطبيب(٢٢) ليميز الناس بين الصنفين المذكورين من ممارسى الصناعة ، وهذا توضيح في غاية الاهمية ٠

ثم عاد المؤلف من غير رابطة بمحنة الطبيب ، فذكر ضرورة تعلم الطب على مؤلفات ابقراط وجالينوس ، أو بالاقل على كتب الجوامع التى وضعها الحكماء الاسكندرانيون على مؤلفات الطبيبين المذكورين ٠ ونفهم من هذا أن جوامع الاسكندرانيين التى أوصى بقراءتها ابن رضوان ليست كتبا مختصرة بمستوى كتب الكنانيش ، لان ابن رضوان ، كما ذكرنا فيما سلف ، غير مقتنع بفوائد ذلك النمط من الكتب المختصرة ، فكيف يوصى بالتعلم عليها اذا لم تكن بمستوى البديل لكتب ابقراط وجالينوس ؟ ٠

ثم تحول المؤلف في حديثه الى ذكر مؤهلات معلم الطب ، ومهارته في تقنية التعليم ، وقال بعد ذلك : اذا لم يتوفر وجود المعلم الكفء فقراءة الكتب دونه اكثر فائدة ، واقل كلفة ، واقرب موردا لتعلمها من شيوخ الصنعة · على انه أوصى ان لا يمر القارىء المتعلم على تلك الكتب مر الكرام ، فان صعب عليه فهم بعضها فعليه ان يرجع الى من له علم بمواضيعها ·

واعاد المؤلف في هذا الباب نصيحته بالانقطاع الى مؤلفات ابقراط وجالينوس دون كتب غيرهما من علماء الصنعة · وأشار بنفس الوقت الى ضرورة التدريب على أعمال اليد بالشق والبط والكي والجبر والكحل وما الى ذلك · كما يرى ان يعرف الطبيب الممارس مركبات المطبوخات وطرق صنعها ، وكيفية تزوير مذاقها بما يرضى المريض الصعب المراس ·

وتناول ابن رضوان في الباب السابع صفات الطبيب الممارس ، وما يجب ان يكون عليه من الصدق والامانة ، ومن القيافة في زيه ونظافته ، وفي سخائه مع المرضى والتلطف معهم بحلو الكلام ·

وفي هذا الباب ايضا تطرق المؤلف باسلوب فلسفى الى العوامل الطبيعية(٢٣) التى تفرض مفعولها على المرض والمريض ، فيقول بعد مقدمة قصيرة لهذا الموضوع ، ان نظر الطبيب من (المحسوس) أما نظر الفيلسوف أرسطو فمن (غير المحسوس) الا ان المؤلف لم يشرح معنى هذين المصطلحين بالامثلة على الحالات المرضية ، فبدأ كلامه مبتورا أو غامضا ·

ثم عاد ابن رضوان الى موضوع محنة من يطلب تعلم صناعة الطب ، والصفات الخلقية والخلقية التى يجب ان يتحلى بها · ويرى ان أول اختبار لمؤهلات المتعلم في الطب ، ان يكون من عمل المتعلم نفسه ، ليرى فيما اذا كان عاقلا وعفيفا وصبورا على تعب النسخ ، ومتواضعا على الاخذ ممن هم أعلم منه في الصناعة ·

ونصح ابن رضوان في هذا الباب الممارسين ان يتساهلوا في عرض افكارهم على الناس ، وان يحترموا تقاليدهم على قدر لا يضر بعافية وبمصلحة مرضاهم ·

ان توصية ابن رضوان في امتحان المتعلم في الطب وفي صفات الممارس صورة مطابقة لاراء ابى بكر الرازى بهذا الموضوع(٢٤) وقد يكون ابن رضوان أخذها عنه ·

واستطرد ابن رضوان على هذا النهج الى ان قال : وعلى الطبيب ان لا يحتشم من فحص المريض كاملا ، وان يعرف كيف يقنعه بالخضوع الى ما يتطلبه تشخيص المرض من فحوص وعلاجات ·

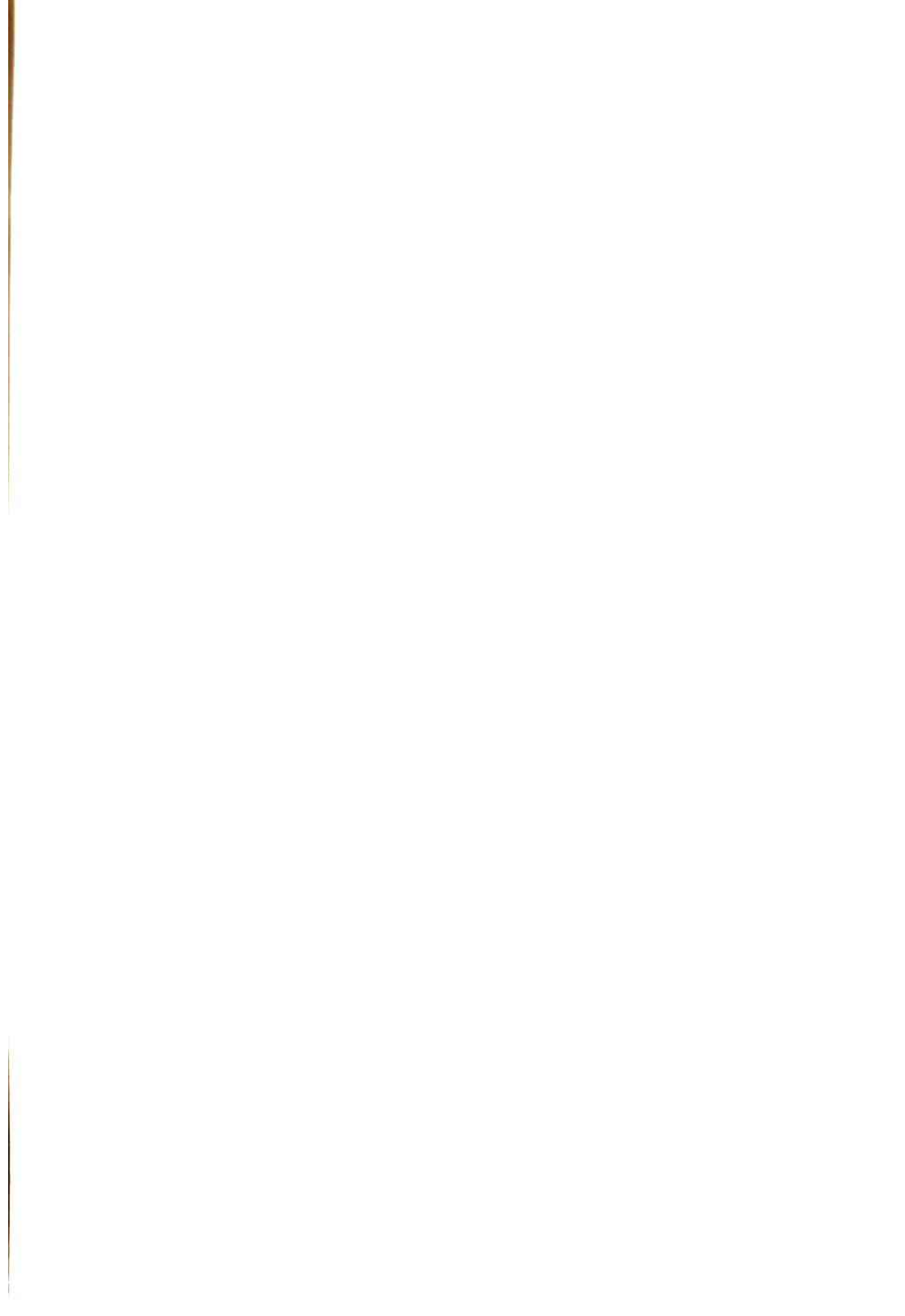
والباب الثامن من هذه المقالة مورد فياض في تأريخ الطب وزاخر بمعلومات قيمة في مناهج الدراسة في معهد الاسكندرية في عهدها المتأخر · وهى مناهج صار لها نفوذ قوى وواسع الانتشار في تعليم الطب في العصور الاسلامية · ومع ان المؤلف لم يذكر مصدره بهذه المعلومات الا انه دون شك قد أخذها عن كتاب تأريخ الاطباء لاسحق بن حنين ، وهذا بدوره قد أخذها عن كتاب تأريخ الاطباء ليحى النحوى الاسكندرانى ، وقد ذكر اسحق بن حنين ذلك صراحة في آخر عبارة من كتابه المذكور · وليس في المؤلفات الاوروبية تضمين لمدرسة الاسكندرية ومناهجها الا ما نقل اليها من كتابى اسحق بن حنين وعلى بن رضوان في كتابه النافع الذى هو بايدينا الان ، وهذا الكتاب اكثر وضوحا وتفصيلا من الكتاب الاول ·

وتطرق ابن رضوان في هذا الباب الى الدافع الذى حدا بالاسكندرانيين الى استحداث المدرسة فقال : ان كتب الطب التى ظهرت بعد موسوعات جالينوس كانت هزيلة المادة ، فرأى بعض حكماء الاسكندرية ، انه اذا تمادى المتعلمون على قراءة تلك الكتب فقد تدرس أصول الصناعة وتختفى فوائدها عن الناس · فسألوا من لهم الامر والنهى في ادارة شؤون المدينة ان يرخصوهم لاستحداث مدرسة لتعليم الطب، فكان من ذلك مدرستها الاخيرة التى بقيت تعمل في تعليم الصناعة حتى دخول المسلمين الى الاسكندرية في سنة ٢١هـ/٦٤١م ·

ولان الهدف من استحداث هذه المدرسة هو ابعاد المتعلمين عن قراءة كتب الكنانيش وامثالها من الكتب المختصرة والمقصرة باداء المعنى ، والتى كان في مقدمتها كناش اوريباسيوس ، فنستنتج من ذلك ان تأريخ تأسيس المدرسة المذكورة كان بعد أيام اوريباسيوس (القرن الرابع الميلادى) وهذا التوثيق له أهمية كبيرة في تحديد تأريخ افتتاح هذه المدرسة وفي بدء تطور العلوم الطبية واعادة التأليف فيها على الوجه الصحيح ·

وساق ابن رضوان في هذا الباب تسلسل مراتب الكتب التى استخلصها الاسكندرانيون من مؤلفات ابقراط وجالينوس التى سموها (الجوامع)(٢٥) ، وهى

اربعة لابقراط وستة عشر لجالينوس • وقد اختار الاسكندرانيون من الكتب الاخيرة ما يثير المتعلم الى قراءة كتب جالينوس الاخرى ذات العلاقة بالموضوع قيد القراءة • وبهذه الطريقة صارت اكثر كتب جالينوس من المقررات الضمنية التى يجب ان يقرأها المتعلم • وقد نقل ابن ابى أصيبعة مفردات تلك المراتب الى كتابه طبقات الاطباء(٢٦) • الا ان هذا المؤلف أغفل لسبب لم يشير اليه ، ذكر مؤلفات ابقراط الاربعة التى هى : كتاب الفصول(٢٧) ، وكتاب تقدمة المعرفة(٢٨) ، وكتاب الهواء والبلدان والمياه(٢٩) ، وكتـاب الامراض الحادة(٣٠) التى ذكرها ابن رضـوان من ضمن مقررات التعليم بمدرسة الاسكندرية ، بل في مقدمتها عموما • وهذه أول انعطاف نحو الاهتمام بمؤلفات جالينوس وتقديمها على كتب ابقراط • ومن المهم ان نؤكد مرة اخرى ان جوامع الاسكندرانيين ليست كتب جالينوس الستة عشر بل هى اختصرات تلك الكتب بصورة جامعة •



الهوامش

(١) ابن ابى أصيبعة ص ٥٦٦ ٠

(٢) ذكر ذلك سليمان قطاية في تحقيقه كتاب كناية الطبيب المنسوب الى ابن رضوان (ص ١٤) ولم يذكر مصدره في ذلك ٠

(٣) حنين ـ ابن اسحاق العبادى ، وكنيته أبو زيد ٠ ولد في الحيرة من أب يعمل في الصيدلة والكحل فتعلم عليه مبادىء الطب وأتمه في بغداد على يوحنا بن ماسويه ، كما درسه في جنديسابور على اكثر الاحتمال ٠ وترجع شهرته الواسعة الى اعماله في ترجمة المؤلفات اليونانية في الطب الى السريانية والعربية ٠ خلف ماسويه في رآسه بيت الحكمة وتوفي سنة ٢٦٠هـ / ٢٧٤م (ابن النديم ـ طهران ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، ابن أبى أصيبعة ص ٢٥٧ ـ ٢٧٤ ، ابن القفطى ص ١٧١ ـ ١٧٦ ، الهامش رقم (١) ص ١٨٢ من كتاب الوفيات لابن قنفذ تحقيق نويهض)٠

(٤) اسحاق بن حنين ـ وكنيته أبو يعقوب ٠ تتلمذ على أبيه ، وصار مساعده في ترجمة الكتب اليونانية الى العربية والسريانية ٠ (ابن النديم (طهران) ص ٣٥٦ ، ابن القفطى ص ٨٠ ، ابن ابى أصيبعة ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، الشهرزورى ٢/٢) ٠

(٥) كتاب تأريخ الاطباء ـ تأليف اسحاق بن حنين ، ويبحث في تأريخ الطب وتراجم الاطباء في العصور اليونانية الاولى (ابن النديم ـ طهران ص٣٤٣ ، ٣٥٦،ابن القفطى ص ٨٠ ، ابن أبى أصيبعة ص٢٧٥ويذكره باسم : كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء ٠ نشر الكتاب روزنثال مع ترجمته الانكليزية بمجلة Orient, vol. 719 P. 55 — 80 على مخطوطة الكتاب بايا صوفيا رقم ٤٨٥ ٠

(٦) يحيى النحوى ـ رجل دين ومؤرخ وطبيب ٠٠ وله مشاركات في وضع تفاسير وجوامع لكتب جالينوس ٠ توفي في بداية القرن السادس للميلاد (ابن البديم ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ، ابن القفطى ص ٣٥٤ ـ ٣٥٧ ، ابن أبى أصيبعة ص ١٥١ ـ ١٥٤ ، الشهرزورى ١٩/٢) ٠

(٧) اقرأ عن جعفر بن المكتفى بالله في ابن القفطى ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، نللينو ـ علم الفلك عند العرب ص ٤٦ ٠

(٨) رودس ، جزيرة صغيرة محاذية للساحل الغربى الجنوبى من آسيا الصغرى ٠

(٩) قنيدس ـ جزيرة اصغر من رودس وأقرب منها الى ساحل اسيا الصغرى٠

(١٠) قوص ـ جزيرة صغيرة قريبة من جزيرة قنيدس ٠ وقد اشتهرت بمدرستها في تعليم الطب السريرى واليها ينسب امام الاطباء اليونانيين ابقراط ٠

(١١) ذكر ذلك ايضا ابن أبى أصيبعة في كتابه عيون الابناء ص ٤٣ ـ ٤٤ ٠

(١٢) المصدر السابق ، وقال ابن أبى أصيبعة في ذلك ان ابقراط وضع كتبه على ثلاث طرائق من طرق التعليم ، احداها على سبيل اللغز ، والثانية على غاية الايجاز والاختصار ، والثالثة على طريق التساهل والتبيين (عيون الانباء ص ٥٣) ٠

(١٣) والكتاب بمقالة واحدة في تسلسل قراءة كتب جالينوس (ابن أبى أصيبعة ص ١٣٤)٠

(١٤) لم نقف على ذكر كتاب في مراتب قراءة كتب ابقراط : وقد يكون فقد في وقت سابق لترجمة الكتب اليونانية الى العربية ٠

(١٥) اورباسيوس ـ طبيب الامبراطور البيزنطى جوليان (٣٢٥ ـ ٤٠٣م) واصله من برغامون ٠ ومؤلفاته الطبية مختصرات عن الكتب اليونانية الاولى ، وهو اول من وضع الكتاب الطبى بهذا الشكل الذى سمى فيما بعد كناشا (ابن القفطى ص ٥٦ ، ابن أبى أصيبعة ص ١٥٠ ٠ أما ابن النديم (ص ٣٥٠ طهران) فيشك انه عاش بعد جالينوس وهو مخطأ ولا شك ٠ اقرأ ايضا ـ Carrison history of medicine. P. 124).

(١٦) بولس ـ هو بولس الاجيني أو الاجنيطى ٠ من جزيرة اجينا المقابلة لاتينة ٠ درس الطب في الاسكندرية ، واشتهر بالطب الجراحى وله كتاب فيه ترجم الى العربية باسم كناش الثريا وصار أحد مصادر الاطباء المسلمين في مؤلفاتهم

بالطب. توفي بولس بحدود سنة ٦٦٠م (ابن القفطى ص ٢٦١ وابن أبى أصيبعة ص ١٥٠ ويذكره باسم فولس الاجنيطى ، و Carrison, P. 124.

(١٧) اثار هذا الامر فيما بعد اهتمام هبة الله بن جميع المصرى طبيب صلاح الدين الايوبى (ت ٥٦٠هـ / ١١٩٣م) فرفع تقريرا الى مخدومه السلطان عرض فيه انحدار المستوى الطبى في البلاد بسبب اعتماد معلمى الطب على الكتب المختصرة واهمالهم تدريس علم التشريح والتدريب في البيمارستانات ، وقد عرف هذا التقرير بالرسالة الصلاحية Brockelmann. 3/892 والمخطوطة بجامعة برنستون رقم هـ ٥٥٦ . وقد نشرتها سميرة جدعون في Bull. history of medic. xliv. 1970, P64.

(١٨) الترياقات ـ ومفردها ترياق وبالعربية درياق ، وهو عقار مركب من ادوية مختلفة ويستعمل ضد السموم . من انواعه الترياق الكبير والترياق الفاروق وغير هذه (دوزى تكملة المعاجم ٤٣/٢ ، القلانسي ـ الاقرباذين ص ٤٧ ـ ٤٨) .

(١٩) ك. الجنين ـ لابقراط بثلاث مقالات (ابن أبى أصيبعة ص ٥٤ ، أياصوفيا* رقم ٣٦٣٢ ، ابن ربن الطبرى ـ فردوس الحكمة ص ٣٢ ، ٤١ ، ٣٧٠ ، الرازى ـ الحاوى ٦٨/٩ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ابن سينا ـ القانون ٥٦٨/١) .

(٢٠) يقصد بالقياس في ممارسة الطب ، التحرى عن سبب المرض ومعالجته قياسا على ذلك .

(٢١) هى حالة الانسان بحسب الكيفيات والاخلاط الغالبة في جسمه .

★ ما بين القوسين يشير الى ان مخطوطة كتاب الجنين موجودة في خزانة ايا صوفيا برقم ٣٦٣٢ ، كما ذكر هذا الكتاب كل من ابن ربن الطبرى في كتابه فردوس الحكمة ص ٣٢ ، ٤١ الخ . وابن سينا في كتابه القانون ج١/ص ٥٦٨ ، وسنتبع هذا الاسلوب فيما يأتى على ما يطابق هذا المثال .

(٢٢) ك · محنة الطبيب ـ وضعه جالينوس بعنوان محنة الطبيب الفاضل (ابن أبى أصيبعة ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، برصا رقم ١١٢٠ ، بلدية الاسكندرية رقم ٨ ط)·

(٢٣) العوامل الستة ـ أو الاسباب الستة التى تفرض فعلها على جسم الانسان في حالتى الصحة والمرض ، هى :

الهواء والماء ، والحركة والسكون (وتشمل النوم واليقظة) والامتلاء الخواء ، والمأكل والمشرب ، ودر لبول ، ومزاج لنفس بتأثير المحيط .

(٢٤) اقرأ بحث البير اسكندر (الرازى ومحنة الطبيب) في مجلة المشرق مجلد ٥٤/١٩٦٠ ص ٤٧١ ـ ٥١٣ ·

(٢٥) كتب ابقراط التى استخلصت منها الجوامع هى : تقدمة المعرفة ، الامراض الحادة ، المياه والهواء والبلدان ، الفصول · أما كتب جالينوس التى استخلصت منها الجوامع فهى : كتاب الفرق ، ك · الصناعة الصغيرة ، ك · النبض الى طوثرن · ك الى اعلوقن في التأتى لشفاء الامراض ، ك · المقالات الخمس في التشريح ، ك· الاسطقسات ، ك·المزاج ، ك· القوى الطبيعية ، ك· العلل والاعراض ، ك· النبض الكبير · ك· تعرف علل الاعضاء الباطنة ، ك· اصناف الحميات ، ك· حيلة البرء · ك· تدبير الاصحاء ك· البحران ، ك· أيام البحران (sezgin, 3/146)

(٢٦) ابن أبى أصيبعة ص ١٥٤ ـ ١٥٦ ·

(٢٧) كتاب الفصول ـ لابقراط · فسره جالينوس ونقل ثمار بعض هذا التفسير حنين الى السريانية ، ونقل عيسى بن صهر بخت القسم الاخر (ابن النديم طهران ص ٣٤٧ ، ابن القفطى ص ٩٤ ، فاتح باستانبول رقم ٣٥ ـ ٦٥ ، ايا صوفيا رقم ٣٧٢٤ ، الاسكوريال ٢/٨٥٧) ·

(٢٨) ك· تقدمة المعرفة ـ لابقراط · وهو في التكهن عن سير المرض ومستقبله (ابن النديم ص ٣٤٧ ، ابن أبى أصيبعة ص ٥٤ ، دانشكاه رقم ٤٩١٥ ، جستر بيتى ٣١٢٧ ، الاسكوريال ٣/٨٥٧ ، الحرم الملكى ٢/١٥٤ طب) وقد نشره المحامى صادق كمونة في بغداد سنة ١٩٣٨ ·

(٢٩) ك٠الاهويةوالبلدان والمياه ـ لابقراط،وهو في الطب الجغرافي(ابن النديم ص ٣٤٧ ، ابن القفطى ص ٩٤ ابن أبى اصيبعة ص ٥٤ . Sezgin. 3/36
وقد ترجمه الى العربية شبلى شميل ونشره في القاهرة سنة ١٨٨٥ ٠

(٢٩) ك٠ الامراض الحادة ـ لابقراط ويبحث في معالجة الحالات المرضية بالغذاء والدواء والاستفراغ والفصد والادوية المسهلة والاستحمام (ابن النديم ٣٤٧ ، ابن القفطى ص ٩٤ ، ابن أبى أصيبعة ص ٥٤ ، الاسكوريال رقم ٤/٨٥٧ ، أيا صوفيا ٣٦٣٢ ، الحرم الملكى ٢/٤٥ طب) ٠

٦ ـ مضامين المقالة الثانية :

هذه المقالة بثلاث ابواب فيها غير قليل مما سبق بحثه في المقالة الاولى،اما الجديد فيها فهو نقد ابن رضوان اللاذع وتجنيه على اثنين من ألمع اطباء المسلمين واكثرهم فضلا على الاطباء ، هما حنين بن اسحاق وابو بكر الرازى ٠

قال ابن رضوان في هذه المقالة ان تعليم المنطق اكثر ضرورة لتعليم الطب من علم النجوم ٠ وهذا رأى غريب في بابه يخالف الواقع في العصور الاسلامية وما قبلها عند اليونانيين ٠ كما كان ابن رضوان نفسه من علماء التنجيم البارزين في زمانه ٠ وهو يعتبر علم الحساب ضروريا لممارسة الصناعة الطبية ، وخصوصا في اختبار قوى الادوية والاطعمة ٠

ويفهم من الباب الاول من هذه المقالة ان ابن رضوان كان يعالج الامراض بالطبائع المضادة(١) لمزاج حالة المريض ، وهى طريقة اتبعها الاطباء اليونانيين القدماء ، فيعادلون المزاج الحار بالاطعمة والادوية المبردة وبالعكس ، مع اعتبار أوقات طلوع الكواكب الثابتة وغروبها ومدود الانهار ، وهطول الامطار ، فيقول (نقلا عن جالينوس) ان معرفة مسار الشمس والقمر والزهرة وعطارد مفيد لمعرفة طبيعة بحرانات(٢) الامراض ، وأيام دوراتها ، وفيما اذا كانت سليمة أم مهلكة ، تامة أم ناقصة ٠

ثم عرج المؤلف الى نغمة الاعادة المألوفة في كتابه ، فذكر فضل المنطق وعلم الطبيعة على الطب في معرفة خلق الجنين ، والانحلال والفساد فيه وفي الاجسام البالغة النمـو ٠

وتطرق المؤلف في هذا الباب ايضا الى حاجة الطبيب الممارس الى معرفة انواع المطبوخات٠واولياتها من المواد ، وطرائق تركيبها وصنعها(٣) ، والمزورات التى تغير من الوانها وطعومها بما يرضى المريض ويشجعه على تناولها ، وخصوصا في حالة الامراض المزمنـة ٠ كما يفرض على الطبيب ان يعرف اسـتطباب المعالجة باليـد واستعمال الادوات في جراحة الشق والبط والكى والفصد وما الى ذلك ٠ وان يلم بتطبيق هذه العمليات ، فقد يحتاج الطبيب الى ذلك في بعض الحالات المستعجلة حين يعز حضور من يختص بعملها ٠ ويؤكد ابن رضوان بهذه المناسبة ان الطبيب في هذه

الحالة بمنزلة الامر ، ويكون الجرائحي طائعا لما يوصى به الطبيب المعالج · ثم يقول متحفظا ومن الخطورة ان يتقلد الطبيب اختصاص الجرائحي دون مبرر أو اضطرار ·

وأثنى المؤلف في هذا الباب على دياسقريدس كاختصاصي بمعرفة الاعشاب الطبية واستعمالاتها ، واختبار قواها الشفائية عند استطبابها للمرضى ·

واستمر المؤلف يكرر ما سبق وقاله في ما بحوزته من المؤلفات اليونانية والعربية ، وذم كتب الكنانيش والمؤلفات المختصرة المماثلة لها ·

وخصص ابن رضوان الباب الثاني من هذه المقالة في نقد افكار حنين في الطب واثنى بتقدير على ما ترجمه من الكتب اليونانية الى العربية والسريانية ، وعلى تأليف كتبه بطريقة السؤال والجواب(٤) ، الا انه سرعان ما انقلب ينتقد افكار حنين التي ضمنها كتابه المدخل الى الطب(٥) · كما لام من اهتم بهذا الكتاب ومن فسره أو علق عليه ، وضرب مثلا على اغلاط حنين في عدد الاخلاط(٦) التي ذكرها في كتاب المدخل المذكور ، وفي اصناف الوانها وعلى اهماله ذكر خلط الصفراء وخلطين اخرين فرعيين معروفين بلونيهما الاحمر والبلسمي ·ودخل ابن رضوان في نقاش جاد حول الخلط النارى اللون والاصفر ، وطريقة تولد كل منهما وامثال ذلك مما له علاقة بالاخلاط الاربعة الرئيسة · كما انحنى باللائمة على ابن اخته حبيش بن الاعسم(٧) على الزيادة التى اضافها الى كتاب المدخل(٨) قائلا : كان أحرى ان يتدارك حبيش الاغلاط التى وردت في متون كتاب المدخل لا ان يضيف عليها أخطاء جديدة ·

ان موضوع الاخلاط نظرى بحت ، فلم يثبت وجودها في الجسم لمسا أو عيانا ، بالرغم من افتراض الاطباء الاقدمين كونها العلة في اكتمال العافية أو انعدامها · فهى في نظرهم اذا اضطربت صارت علة جميع الامراض · وعلى الرغم من اعتبار مفهومها الذى لا يصح نقده في الوقت الراهن ، فان نقد ابن رضوان على ما ورد في كتاب المدخل لحنين لا حجة فيه ولا شاهد يدعم اعتراضاته عليه · كما ان ابقراط لم يكتب في الوان الاخلاط كما زعم ابن رضوان · وقد ادخلنا في حسابنا عند الحكم على الاراء المتضاربة في قواعد العلوم الطبية وبخاصة كليات الطب ، مفاهيم ذلك الزمان التى لا يصح مناقشتها بالمفاهيم الراهنة · وقد اعتبرناهذه الحقيقة في المقارنة بين

فكرتى ابن رضوان وحنين في موضوع الاخلاط • ومع ذلك لم نر مبررا لنقد حنين فيما اورده عن الاخلاط في كتابه المدخل الى الطب •

وانتقد ابن رضوان في هذا الباب ايضا تفسير حنين لكتاب جالينوس في الاغذية(٩) واتهمه من غير سند منقول بتشويه مضامين هذا الكتاب ، كما نقد كتاب كامل الصناعة الطبية(١٠) لعلى بن العباس المجوسى(١١) دون ان يشير الى مفردات ما فيه من الاغلاط التى يزعمها ، واكتفى بالقول بانها (ما لا يتهيأ احصاؤه كثرة) • ولا جدال في ان ابن رضوان بعيد كل البعد عن اعطاء هذا الكتاب القيم حقه من التقييم والتقدير •

وافتتح ابن رضوان الباب الثالث من هذه المقالة بهجوم مباغت على أبى بكر الرازى قائلا : (انه بطيء الفهم ، مرتبك الفكر ، على الرغم من شدة حرصه على التعلم ، ودأبه على قراءة الكتب ونسخها) واستطرد يقول : وانه من شدة وهمه في تقدير الامور العلمية صار ينتقد كبار العارفين بفنون الصناعة الطبية ، ومن احرز نجاحا باهرا بممارستها • كما حكم على الرازى بانه لا علم له بعلم النجوم والمنطق ولا بالعلوم الطبيعية • واعتبر شكوكه على آراء جالينوس لا تدل الا على سوء فهمه لافكاره العلمية ، وقصر نظره في ابعادها ومبادئها • وما اشبه هذه اللهجة بلغة جالينوس حين يخاصم ويناقش •

ولا حاجة ان نذكر ان ابن رضوان نفسه لم يول أهمية لعلم النجوم في تعلم الطب وممارسته كما أسلفنا فيما تقدم ، فكيف ينتقد الرازى لانه – على حد زعمه – لامعرفة له بعلم النجوم ؟ وأما قوله : ولاعلم له بالعلوم الطبيبية فأكثر الاحتمالانه يوجه النظر بذلك الى نزة ما ادخله الرازى بهذا الموضوع في كتاب الحاوى ، في حين ان له آراءا أصيلة في هذه العلوم ضمها الى كثير من مؤلفاته ، ولم يدخلها في الكتاب الحاوى وله الحق ، ذلك لان هذا الكتاب في الطب التطبيقى حصرا •

وحشر المؤلف في هذا الباب قوله (ان الاسهاب في شرح المواضيع الطبية يضيع على القارىء جوهر المادة فيها ، وهذا رأى يطول فيه النقاش) وقال أغرب من ذلك : (ان صناعة الطب يمكن تعلمها بمدة اقصاها ستة أشهر) • ولا حاجة ان نعلق على هذا الرأى فهو مردود جملة وتفصيلا •

وتطرق ابن رضوان في هذا الباب الى طريقة العلاج بالحيل ، واطنب الكلام في موضوعها . وقال : ان جالينوس عارض باصرار وشدة الداعين الى ممارسة هذه الطريقة ، ووضع في ذلك كتاب حيلة البرء(١٢) . وقال ايضا ان رئيس فرقة المعالجين بالحيلة ثاسلس(١٣) لا يعرف سبب الامراض ولا اعراضها ، ولا الفرق بين الصحة والمرض . وفي هذا تجن لامبرر له . كما ان جالينوس لم يضع عنوان كتابه (حيلة البرء) ليلفت النظر ــ كما يزعم ابن رضوان ــ الى الطرق غير العلمية التى يمارسها اصحاب الحيل ، بل استعرض فيه مذهب هذه الفرقة بحياد وموضوعية .

وأخذ ابن رضوان على الرازى في مؤلفاته أمورا شكلية لا تمس قواعد الطب وفنونه التطبيقية ، وهو يستند في نقده على آراء جالينوس حتى اذا كان في هذه الآراء عوز من الحجج التى تدعم موقفه . كما انتقد ابن رضوان الرازى لانه ــ على حد زعمه (مارس العلاج بطريقة الحيل وهو لا يعلم ذلك) . وردد بهذه المناسبة ما قاله الرازى في تعريف فرق الطب الثلاثة ، والفروق فيما بينها . واعترف قائلا : (وكان الرازى مجيدا فيما قاله بذلك ، على ما في كلامه من شدة الاقتضاب) . قال الرازى وما أصدق ما قال : ان الفرقة التى تؤمن بالقياس وتعالج الامراض على أسسه ، تحتم معرفة طبيعة المرض قبل النظر في رسم خطة علاجه . بينما فرقة اصحاب التجارب تبنى معارفها عن الامراض وعلاجها على دراسة حالات المرض الانية دون الاهتمام بتقصى طبيعة المرض واسبابه . أما فرقة اصحاب الحيل فتنظر الى العلاجات الشافية لظواهر الامراض واعراضها دون الالتفات الى القياس أو الى ما تكشف عنه الخبرة والتجربة .

لم يرتح ابن رضوان من استطراد الرازى في كلامه عن فرق الطب الثلاث المذكورة ، اذ كان من رأيه ان يحصر الرازى كلامه في فرقة اصحاب الحيل وحدها دون الفرقتين الاخريين . وجملة القول في الحكم على نقد ابن رضوان انه اهتم باطراف المواضيع التى عالجها الرازى لا بلبابها .



الهوامش

(١) الطبائع المضادة ــ الطبائع أو الكيفيات اربعة هى : الحرارة والبرودة ، واليبوسة والرطوبة ٠ وكل من الطبيعتين الاوليتين مضادة للاخرى ، وكذلك الحال في الطبيعتين الاخريين ٠

(٢) بحرانات ــ مفردها بحران وهو التغيير في حالة المريض الى الافضل أو الى الاسوأ ٠(الكرملى ــ المساعد ١٥٩/٢) ٠

(٣) في التراثيات العربية ستة كتب معروفة في صنع الطبيخ ، ومؤلفوهاهم : ابن الداية ، يوسف بن ابراهيم ، واحمد بن الطيب السرخى ، وابن ماسة، وابن مسكويه ، ومحمد بن الحسن الكاتب ، وابن مندويه الاصفهانى ٠

(٤) أول من وضع كتب الطب بطريقة السؤال والجواب هو انقلاوس الاسكندرانى وجماعته الذين استحدثوا مدرسة الاسكندرية المتأخرة (ابن القفطى ص ١٧١) ٠

(٥) كتاب المدخل الى الطب لحنين ــ هو كتاب المسائل في الطب لحنين ، ويعرف الكتاب بهذا الاسم الاخير اكثر من الاسم المتقدم ، ومخطوطته بمكتبة احمد الثالث باستانبول رقم ١٩٩٦ ، ٢١٣١ ، وفاتح٧١٢ ، ٣٦٢٣ ، وايا صوفيا ٢/٣٣٢٤ ، وبرلين ٦٢٥٨ ، وغوتا ٢٠٢٣ ، ٣/٢٠٣٦ والقصر العينى ــ جامعة القاهرة ٨٩ وخزانة طلعت طب ٥١٢ ٠

(٦) الاخلاط ــ مواد سيالة تتكون في الجسم ومصدرها الطعام والشراب ٠ وهى اربعة انواع : خلط الدم وخلط البلغم ، وخلط المرة الصفراء وخلط المرة السوداء ٠ وهى باستثناء خلط الدم افتراضية لا ثبوت على وجودها ٠

(٧) حبيش الاعسم ــ هو ابن حسن الاعسم الدمشقى ، وابن أخت حنين وعليه تتلمذ وصار يضاهيه في ترجماته الى العربية (ابن القفطى ص ١٧٧) ، ابن ابى أصيبعة ص ٢٧٦ ، والبيهقى ص ١٩) ٠

(٨) عرف الكتاب بعد ان اضيفت اليه الزيادات باسم : كتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش الاعسم (ابن أبى أصيبعة ص ٢٧١) ٠

(٩) يقصد ابن رضوان بذلك تفسير حنين لكتاب الاغذية (الغذاء) لابقراط ٠ وهذا الكتاب باربع مقالات في شرح تحول الاغذية الى الاخلاط الاربعة ، وما يستفاد من ذلك في التطبيق (ابن أبى أصيبعة ص ٥٥ ـ بانكيبور رقم ٢ ، الرازى ـ الحاوى ١٧٠/٢٠ ، ٢٨٨/١١ ، ٤١٣/١٥ ، ابن البيطار ٦٩/٤) ٠

(١٠) ك٠ كامل الصناعة الطبية ـ او الكتاب الملكى ، وهو في الطب النظرى والعملى ٠ كتبه على بن العباس المجوسى لعضد الدولة البويهى وسماه بلقبه (ابن أبى أصيبعة ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ، سراى احمد الثالث رقم ٢٠٣٢ ، فاتح ٣٦٠٣ ، ميونيخ ٢٣٦ شرق وغير هذه ٠ وقد طبع في مصر سنة ١٨٧٧

(١١) المجوسى ـ هو على بن العباس(ت٣٧٢هـ/٩٨٢م)وأصله من أرجان بالاحواز وفيها درس الطب على أبى ماهر موسى بن يوسف بن سيار (ابن القفطى ص ٢٣٢ ، ابن أبى أصيبعة ص ٣١٩ ـ ٣٢٠) ٠

(١٢) ك٠ حيلة البرء ـ لجالينوس ٠ ويبحث في علاج الامراض بطريقة القياس (ابن أبى أصيبعة ص ١٢٧ ابن القفطى ص ١٢٩ ، المتحف البريطانى رقم ٣٠٣٢ وباريس ٢٨٥٥ ، الرازى ـ الحاوى ١٨/١٣ ، ١٩٨ ،٢١٧ ، ٨١/٤ ، ١/٨ ، ٦٥/١٤ ، ٢٨٠/١٩ ، المجوسى ـ الملكى ٧/٢) ٠

(١٣) ثاسلس ـ هو أحد تلاميذ برمانيدس الذى كان الطبيب الرابع من الاطباء الكبار السقليبيين (ابن أبى أصيبعة ص ٤٠ ـ ٤١) ٠ وهو الذى استحدث طريقة العلاج بالحيلة وتزعم تبريرها والدعوة لتطبيقها ٠

القسـم الثالث

١ ـ نص وتحقيق المقالة الاولى من الكتاب النافع .

٢ ـ نص وتحقيق المقالة الثانية من الكتاب النافع .



بسم الله الرحمن الرحيم وبه* نستعين

المقالة الاولى من الكتاب النافع في صناعة الطب تصنيف ابى الحسن على بن رضوان المصرى ، وهى ثمانية ابواب :**

الباب الاول : في سبب وضع هذا الكتاب ٠

الباب الثاني : في كيفية تعليم القدماء صناعة** الطب ٠

الباب الثالث : في الاسباب الماحية لمحاسن صناعة** الطب ٠

الباب الرابع : في اغراض كتب ابقراط ونحو تعليمه ٠

الباب الخامس : في كيفية تعليم جالينوس ٠

الباب السادس : في ما ينبغى ان يتقدم تعليم صناعة الطب ٠

الباب السابع : في الطريق النافع في تعليم صناعة الطب وذلك في حال المعلم والمتعلم، وكيف يكتسب بها المال ٠

الباب الثامن : في اقتصار الاسكندرانيين على عشرين*** كتابا من كتب ابقراط وستة عشر من كتب جالينوس ٠

---

* ليس في المخطوطة كلمة (به) واعتبرناها ساقطة من قلم الناسخ فاثبتناها٠
** في المخطوطة : الصناعة ٠

*** الصحيح : ٠٠ على اربعة كتب من كتب ابقراط لاعلى عشرين كتابا ٠ ولابد

الباب الاول

في سبب وضع هذا الكتاب

ان قصدنا ان نبين ما النافع في تعليم صناعة الطب(١) ٠وذلك انه عرض لنا في تعليمها غيرة عظيمة ، وتعبنا فيه تعبا عظيما ٠ فلما وقفنا على السبيل المستقيم في تعلمها رأينا ان نسعف به كل من نظر فيه لنريح به الواحد من المشقة التى نالتنا ، ولا يقع في حيرة من أمره فيفوته الكمال في صناعة الطب ، أو يناله في ذلك مشقة صعبة ٠ ونحن نقص ما عرض لنا فنقول :

انا لما اردنا ان نتعلم هذه الصناعة ، التمسنا في مدينة مصر من رأينا ان المتعلمين يقصدونه في التعليم ، وغير المتعلمين يحمدونه في الصناعة ، فقصدناه وسألناه التعليم ، فاجابنا الى ذلك ٠ ثم أمرنا ان نحفظ مدخل حنين(٢) ٠ وكنا نشاهد تدريسه المتعلمين قراءة لا يفسر مستغلقا ، ولا يزيد على ان يسمع قراءة من يقرأ حرفا واحدا ، ولكن يصغى لقراءة المتعلم فقط ، فربما صحف المتعلم أو زيف فلا يشعر هذا المعلم بذلك ٠ ثم رأينا المنظور اليه من اطباء* هذه المدينة يجرى امرهم في تدريسهم هذا المجرى بعينه ٠ لقد حضر رجل غريب لا معرفة له بشىء من الطب ، فرأى رجلا يقرأ عليه حيلة البرء ، فلما مضى نحو من خمسة أوراق والمدرس ساكت ، قال الغريب : قد قرأت كثيرا وما سمعت من الشيخ شرحا ولا شبهة يحتاج الى ان يكشف ما في هذا الكلام شىء لم نفهمه أيها المعلم** ، فسكت الشيخ وبقى الغريب متعجبا٠ فلما سمعت ذلك وقع في ذهنى ان القوم لا يعرفون صناعة الطب ، واختبرت واحدا واحدا منهم فوجدتهم لا يفهمون من كتب ابقراط وجالينوس فيما جاء فيها ، وانها في خزائنهم ٠ ورأيت تعويلهم على ما شاهدوا عليه أوائلهم فقط ٠ والافضل منهم من لمح ذلك الكناش ينظر فيه او يستفيد منه ما غمض عليه من العلاج ٠ ثم سمعت ان بالعراق من يدرس هذه الصنعة ولم استطع اليه السفر ، فبقيت متحيرا ،لاارضى طريق هؤلاء ، ولا اتمكن من السفر٠فخطر ببالى ان اتناول كتب

* في المخطوطة : من الاطباء ٠

** في المخطوطة : المتعلم ٠

جالينوس فانظر فيها ، فوقع في يدى كتابه في آراء ابقراط وافلاطون فنظرت فيه فوجدته يقول : ان كلامى لا يفهمه الا رجلان ، رجل تدرب في الهندسة فيصير للبرهان في نفسه قوة ، ولا يقبل فيها الاقاويل المغلطة(٣) ، ورجل تدرب في المنطق فعرف القوانين لا يفوته معها مطلوب · فاخترت تعلم صناعة الطب ، واقبلت أتعلم الهندسة والمنطق · فلما صارت لى فيهما القوة التى أتعرف في جزئيات كل واحد منها ، رجعت الى تعلم صناعة الطب · فوجدت الكتب الموضوعة كثيرة جدا ورأيت الجميع يقدمون كتب ابقراط وجالينوس على غيرها ، فنظرت في هذه خاصة . وجوامعها ، وتفاسيرها · فوقفت بالمنطق ، على ان الجوامع والتفاسير مستغنيا عنها · ولما أدمت على ذلك فهمت صناعة الطب وتوليت علاج المرضى · ثم انه وقع في يدى تفاسير من يدرس هذه الصناعة بالعراق ونظرت في كلامه فوجدته شديد الاضطراب غير لازم لقوانين التعليم على ماسنوضح في المقالة الثانية · ولما أدمت النظر نتج لفكرى تعليم الطريق النافع في تعليم صناعة الطب ، واختبرت بصناعة المنطق فوجدته سليما من الشبهة والحيرة ، لا مشقة فيه · فوضعته في هذا الكتاب لينتفع به من اراد تعلم صناعة الطب من الاخيار ، واما الاشرار فان تخلف طبائعهم ورداءة قرائحهم صارفة لهم عن التعلم ، ولو فهموا هذه الطريقة عشرة الاف مرة · وهذه الطريقة تقوم لمن لا يجد معلما جيدا [مقام المعلم الجيد] فيمن له بها من ذوى القرائح الجيدة ، والطبائع الفائقة بلغ فيها الكمال في صناعة الطب في أقصر ما يمكن من الزمان الذى يمكن في مثله فهم ما في كتب ابقراط وجالينوس من هذه الصنعة ·
وقبل ان نذكر هذه الطريقة نوصى ما يصحح ما ذهبنا اليه ان شاء الله تعالى ·

الهوامش

(١) صناعة الطب ـ اول من اطلق هذا الاسم على مهنة الطب هو ابقراط ، اذ انه اعتبرها علما تطبيقيا وصناعة ٠

(٢) يقصد المؤلف بذلك كتاب المدخل الى الطب لحنين بن اسحاق ٠

(٣) المغلطة ـ الكلام الذى يغلط فيه ويغالط به (المنجد مادة غلط)

الباب الثاني

في كيفية تعليم القدماء صناعة الطب :

وذلك انه يقال : ان تقدم العلوم والصنائع [المأخوذة] من قدماء المصريين تتعارف على ذلك الفلاسفة بحسب مادونوا في كتبهم ، واليهود في دينهم ، ولا فائدة فيما نحن فيه بالتطويل في تصحيح هذا القول لانه كاف ، فصدقت الاحوال الموجودة في كتب جالينوس ·

ان الطب ظهر في بيت من خزائن وسط الاقليم الرابع ، احدهما يسمى رودش ، والاخر قنيدش ، والثالث يسمى قو ·[ومن هنا] كان ابقراط المشهور في صناعة الطب · وان الاطباء خاصة كانوا من الزهاد والملوك لا يخرج منهم الى غيرهم · وكان الاباء [يلقنون] على كل صالح من ابنائهم تلقينا وعهدا · وأول شيء كان الاباء يعلمونه الاولاد التشريح كما ذكر جالينوس في المقالة الثانية من كتاب في عمل التشريح(١) · فكانت هذه الصناعة هوى ووقف على بيت واحد الى ان نشأ فيهم ابقراط الاول(٢) ، ولقن الصناعة ونظر فيها وفحص عنها فوجدها قد بادت من رودش ، وقاربت ان تبيد ايضا من قنيدش ، فوقع في فكره ان لم تدون في الكتب بادت وذهب فخر السلف · فصحح الصناعة ، وكتبها باقاويل غامضة ، والغاز عويصة لا يكاد يقف عليها أخو عمرو* ممن القيت عليه معانيها او من له طبيعة فائقة وقريحة جيدة يتهيأ له بذلك ان يتعلم ويستنبط ما أخفاه ابقراط ببحث شديد · وافهم ابقراط معانى كتابه لولديه ثاسلس الاول(٣) وذويقون(٤) · وأوصى اليهما ان يفيداها من أتاهما من الاخيار كان من كان ، من** قرابتهما أو من الغرباء · وكتب في ذلك عهدا وشرط في ذلك شروطا من قبلها علم ، ومن خالفها حرم · فشرع الناس في تعلم الطب ، واستقرت الصناعة في اليونانيين ، وقدم ملوكهم الافضل فالافضل من الاطباء · واختلفت الاراء فيها الى ان نشأ وجاء بعده جالينوس المؤيد(٥) من اهل برغامس(٦) ، فائق الطبع ، حسن الذكاء ، صبور على

---

* أخو عمرو ــ هو الغر والقليل المعرفة (الامثال للميدانى) ·

** في المخطوطة : كان كان من

التعب في التعلم* . فتعلم الهندسة** وغيرها من التعاليم . وتعلم المنطق وقصد في الطب افاضل مصره*** من المعلمين(٧) على رأى كل فرقة(٨)، وسافر حتى لقى كل مذكور . وشاهد في أسفاره منابت الادوية ومعادنها ، فوقف على ان الحق في الفرقة التى ترى رأى ابقراط فاعتقدها وباشر**** التشريح ، وبالغ في اعمال الطب . فعند ذلك رأى ان يصحح الصواب منها ويبطل الباطل ، وفسر كلام ابقراط . فلما استكمل تهذيب الصناعة مات على رأس سبع وثمانين سنة ، ظهرت فيها ملة النصارى ، فكف الناس عن الاستخراج ، والنظر في طبائع الامور ، واطرح ملوكها الفحص عن صناعة الطب . فاضطربت الصناعة وتفرقت وخرج منها ما خرج الى الفرس . وجاء الاسلام فرغب [من] ملوكها في ذلك كعمر بن عبد العزيز(٩) رحمه الله تعالى ، فان هذا الملك أحيا علوم القدماء . ونشأ حنين حذقا بعد الامام المأمون ، وخرج له الفكر بعد وفاته ، جماعة في النقل كسرجس الراسى(١٠) وابى سعيد بن الكرجى (١١) وأيوب الرهاوى(١٢) والبطريق(١٣) ، الى ان ظهر كثير من علوم القدماء في اللسان نتعلم على ترتيب ايضا من كتبه(١٤). وعرض في مقالة مفردة هذا الترتيب .وامر ان يتقدم المتعلم اولا بصناعة المنطق والهندسة . ولما أتى اورباسيوس وقد غلب ملوك النصرانية(١٥) ، رأى ان يحيى الصناعة بوضع كنانيش تحرب فيها الصناعة [بعدهما]، ولاى ما وضعه هذان الرجلان من الكنائش ، تتابعوا في وضعها الى يومنا هذا . حتى ان ابا بكر الرازى يأمر كل طبيب ان يصنع كناشا لنفسه(١٦) ، فكثرت الصناعة سهلة فقد يأتى المتعلم فيجلس طبيبا ، فمال اليها كل أحد ،وتسمى بها من ينال بها الملك ولا يرضى بها ابقراط في علاج [كدرس] بمائة قنطار ذهب(١٧) ، وهذا حالها اليوم . ونحن نذكر الاسباب الماحية لمحاسن صناعة الطب.

* في المخطوطة : في المتعلم .
** في المخطوطة : الهندى .
*** في المخطوطة : بمصر .
**** في المخطوطة وباشرها .

الهوامش

(١) كتاب عمل التشريح ــ ويسمى ايضا التشريح الكبير او علاج التشريح ، ويبحث في تشريح الجسم كاملا (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٨ ، Sezgin—Gas. 3/98 مكتبة المتحف البريطانى رقم ٢٣ ــ ٤٠٦ ، الظاهرية بدمشق ٦٧٠٥ ، دانشكاه ٤١٥) ٠

(٢) المؤلف سماه (الاول) للتفخيم ٠ أما ابقراط الاول بحسب التسلسل التأريخى فهو ابو ايراقلس اى جد ابقراط القوصى ٠

(٣) تاسلس بن ابقراط ليس الاول بهذا الاسم ٠ وثاسلس الاول بحسب التسلسل التأريخى هو تلميذ برمانيدس الذى دعى الى علاج الامراض بطريقة الحيلة ، وقد عاش قرونا عديدة قبل حياة ثاسلس بن ابقراط (ابن ابى أصيبعة ص ٤١) ٠

(٤) ذويقون ــ وهو تصحيف لاسمه (ذريقون) ابن ابقراط بن ايراقلس (ابن القفطى ص ٩٤ ، ١٠٠ ، ابن أبى أصيبعة ص ٥٦) ٠

(٥) جالينوس المؤيد ــ معنى جالينوس باليونانية : الفاضل ، وكثيرا ما يذكره المسلمون بهذا اللقب ٠ وابن رضوان هو الوحيد الذى لقبه بالمؤيد ٠ وجالينوس هو الثامن من اسرة اسقلبيوس ٠ ولد في برغامون ودرس الطب وعلمه في الاسكندرية ٠ وهو يضاهى ابقراط في الشهرة وفي معرفة صناعة الطب ، وله في ذلك ما يزيد على المائة كتاب ٠ وقد توفي سنة ٢٠١م بعمر يناهز الخامسة والسبعين (ابن القفطى ص ١٢٢ ــ ١٣١ ، ابن ابى أصيبعة ص ١٠٩ ــ ١٤٩)٠

(٦) برغامس ــ أو برغامون ، دويلة في وسط اسيا الصغرى ٠ اشتهرت بصنع الورق من جلود الماعز ، كما كانت فيها مكتبة ضارعت مكتبة الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ٠

(٧) عرف من شيوخ جالينوس سبعة هم : نيكون أبو جالينوس ، وساطورس ، وارمنيس ، وباليس السمرنى ، وقالوبس ، وفالقس ، والطبيبة كلاوبترا ٠

(٨) يعنى المؤلف بذلك فرق اصحاب العلاج الثلاثة ، وهم : اصحاب العلاج بالتجربة، واصحاب العلاج بالقياس (بمعرفة سبب المرض ونوعه) واصحاب العلاج بالحيلة ٠ والفرقة الاولى هى الغالبة ٠

(٩) عمر بن عبد العزيز – الخليفة الاموى الثامن ٠ رجل دين ودنيا ٠ دامت خلافته سنتان ونصف ، وتوفي سنة ١٠١هـ/٧٢٠م (الزركلى ٥/٢٠٩) ٠

(١٠) سرجس الراسى – أو سرجيس الراسعينى – أحد المترجمين السريان في بغداد٠ وهو غير سرجيوس الراسعينى المتوفي في القسطنطينية سنة ٥٣٦م طبعا ، ويخلط بعض الكتاب فيما بينهما ٠ ويمكن معرفة هوية هذا المترجم من رسالة حنين الى على بن يحى المنجم فيما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس ، ومن الباب المخصص للمترجمين العباسيين في كتاب عيون الانباء لابن ابى أصيبعة ص ٢٨١ ٠

(١١) سعيد بن الكرجي – لم نقف على ترجمة هذه الشخصية ٠

(١٢) أيوب الرهاوى – من المترجمين المجيدين من اليونانية الى السريانية ، وله اعمال كثيرة في هذا الميدان ، كما له مؤلفات في الطب (ابن ابى أصيبعة ص ٢٨١ ٠ وفي رسالة حنين الى على بن يحى المنجم مفردات ما ترجم عن اليونانية) ٠

(١٣) البطريق – أبو يوحنا المترجم ٠ زامن أبا جعفر المنصور له نقول من اليونانية الى العربية منها كتاب المربعة لبطليموس القلوذى (ابن القفطى ص ٢٤٢ ، ابن أبى أصيبعة ص ٢٨٣) ٠

(١٤) ابن أبى أصيبعة ص ١٣٤ ٠

(١٥) يقصد بذلك تعصب الحكام ورجال الكنيسة الى الدين المسيحى ومطاردتهم للعلماء الوثنيين والمارقين على النصرانية ٠

(١٦) اكثر الاحتمال ان ابن رضوان يشير بهذه العبارة الى ابي بكر الرازى في دعوته لمن يريد ان يكون طبيبا متابعا لعلوم هذه الصناعة ان يضع لنفسه كتابا يدون فيه ما يقرؤه في الكتب وما يسمعه من الاطباء ، فاعتبر ابن رضوان هذه المدونات هى الكناش الذى لا يطمئن اليه · (مجلة معهد المخطوطات م ٧ ، ج١ ، ١٩٦١ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥) ·

فيه ما يقرؤه في الكتب وما يسمعه من الاطباء فاعتبر ابن رضوان هـذه المؤلف قد أخذه عن ابن رضوان في الكتاب النافع ·

في الاسباب الماحية لمحاسن صناعة الطب :

وهـذه الاسباب كثيرة ، وترجـع كلها الى رذل من ينتحلها ، فانها لما كثرت الصناعة بكثرة الكتب ، واهملت كتب ابقراط. وجالينوس برغبة الناس في جوامعها وتفاسيرها ، وفي سرعة الكشف [في] صناعة الطب ، وحب اللذة والراحة ، صار كثير ممن ينتحلها يتقدم فيوهم الناس انه فاضل بها ، وهو في نفسه بخلاف ظاهره . ثم ان الادوية التى [هى] قوام علاج المرضى بها نسى [اكثرها]* وبدل بعضها ، والاسباب انت تقف عليها من هذا القول .

حكى جالينوس في كتاب المعجونات(١)،أن ملوك مصر كانوا ينفقون الجرايات والصلات الى كل ناحية ، والى كل بلد ، فيقدمون بذلك من ينفذ الادوية المأخوذة ويتعهدونها ، ويجهزونها الى كل ناحية كيلا يشوبها بعض الاشرار بغش يؤذى بها من استعملها في علاج مرض .

وأمر ابقراط وجالينوس وداسقريدوس الاطباء مشاهدة الادوية في مبدئها وانتهائها ومعرفتها عيانا لا خبرا ، واعتبار قواها قبل استعمالها . وأمر ذلك اليوم بخلاف ذلك كله . أما الملوك فلا يهتم احـد منهـم بشىء من ذلك ، ولا في الادوية المأخـوذة من بلادهم ، [دع غيرها] كأنهم لا يمرضـون أو يمرض أحـد أولادهم فيستغيث اليها . واذا مرض واحد منهم انقذ صاحبا له فاشتراها من الصيادلة من غير فحص عن صحة الدواء ، أو جودته أو طرائه ، أو عتقه ، وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته من أمر الدواء . واما التجار والصيادلة فرغبتهم في ذلك الربح فقط ، فليس يبالون** ما باعوا منها . فكثيرا ما يلتمس من احدهم دواء فلا يكون عنده، فيبيع شيئا اخر على انه ذلك الدواء (٢) . وبقى ذلك الاستهتار متماديا في الناس ، اذ قد عدم من يعتبر بذلك . فاما الاطباء فما رأيت في عمرى أحدا منهم يعرف شيئا

---

* في المخطوطة : اكثرك

** في المخطوطة : ينالون

من الادوية ، فان وجد فيهم من يعرف شيئا فانما بعض [المشهور] في مدينة أو حانوت واحد من حوانيت الصيادلة فقط . واسمع منى ماشاهدته ووقفت على صحته منذ عشرين سنة الى يومنا هذا فانه اذا تغيرت في مدة عشرين سنة أدوية كثيرة ، فما ظنك بما تغير منها بعد عمر جالينوس ، وهو نحو من الف سنة ، واكثر (٣) . والذى شاهدته ان مدينة مصر عظيمة ، والتجار يسافرون اليها من كل ناحية . فذكروا انه كان منذ تسع سنين بالهند ريح عظيمة عاصفة رمت بالهليج*(٤) الهندى حصرما قبل ان يستكمل في شجره ، وان تاجرا جمع من تحت الشجرة عدلين (٥) من ذلك الحصرم ، وحملها الى عدن فلم تشتر منه ، وحمله الى جدة فلم تشتر منه ، وحمله الى مصر فلم تشتر منه . فلما يئس من ثمنه ندم على ما انفقه فيه . فسأل شيخا جالسا على الطريق يبيع بزعمه سفوفات للشحم ؟ ونحوها ، شراءه على ان يدفع اليه في كل شهر دينارا ، فباعه منه خمسين رطلا (٦) بدينار ، فحصل ذلك الشيخ من ذلك الحصرم نحوا من رطل في قصعة في مفرشة ، وتكلم عليه : هذا اهليلج هندى بلا نوى ، ينفع من كذا وكذا ، كيف شاء . فباع الاوقية اولا بثمن درهم (٧) فتسامع الناس به فباع الاوقية بدانق (أ٨) ، ثم بربع درهم ؟ الى ان باع الاوقية بسدس دينار . وجعل اطباء المدينة يتواصفون هذا الحصرم من غير اعتبار قوته . وتسامع بذلك المغاربة والروم وغيرهم من الامم ، فصار لا يحمل من الهند الى يومنا هذا سوى الحصرم على انه اهليلج هندى خالص . وانت تعلم ان قوة حصرم الهليلج اذا قيست بالاهليلج الكابلى المنضج كانت بمنزلة قوة بلح النخل من تمر النخل .

ولقد انفذت عام أول غلامى الى الصيادلة ، وامرته ان يشترى لى دواء فجاءنى بغيره ، فرددته وكتبت معه رقعة باسم الدواء وصفته ، فجاءنى بآخر مرارا ، كل مرة يرجع بدواء غير ما التمست ، فلو كان غيرى لاستعمل ما دفعه الصيدلاتى كائنا ما كان .

وهذا حديث اخر مشهور اليوم بمصر . كان باعة العطر يفرشون القراطيس

---

* يكتب الهليليج بألف لام التعريف أو بدونهما .

بالمرماخور(٩) ويجعلون فيها ايضا كبابة(١٠) في جملة [الافواه] ، فعدم المرماخور والكبابة سنة واحدة . فنسى الناس هذين الدوائين حتى لا يكاد اليوم يسمع منهما خبر ، فضلا عن اسمه . ولقد حمل بعض التجار عدلين مرماخور فلم يعرفه أحد ، ولم يشتر منه قليل أو كثير .

ولقد كان الدار شيشعان(١١) من الادوية المشهورة في العطر والصيدلة ، فنسى حتى ما عرفت أحدا ذكره في عمرى .

وهذا الرواند(١٢) الذى بأيدينا لمشابهته الرواند في اشياء تسمى باسمه ويباع على انه هو ، ودياسقريدوس يقول انه أصلا أسود ، واقرب الى حمرة ، لا رائحة له ، رخو الى الخفة [ماهو] وأقواه فعلا ما كان غير مسوس ، وكانت فيه لزوجة وقبض ضعيف . واذا مضغ كانت في لونه صفرة بشيء من لون الزعفران واذا شرب نفع من الريح ، وضعف المعدة ،وأوجاع المعدة كثيرا ، ووهن العضل ، وورم الطحال ، وأوجاع الكبد ، وأوجاع الرحم ، وعرق النسا ، ونفث الدم من الصدر ، والربو ، والفواق ، وقرحة الامعاء ، والاسهال المزمن ، والحميات الدائرة ، ونهش الهوام . فنذكر مشابهة لهذا الرواند المتعارف اشياء كثيرة غير موجودة فيه ، منها ان الاجود من هذا هو الاصفر ، والاجود على رأى دياسقريدوس هو الاسود . ومنها انه قابض ونافع من نفث الدم ، والربو ، والفواق ، وقرحة الامعاء ، والاسهال المزمن . وليس في هذا الدواء المتعارف شيء من ذلك ، ولكنه يسهل الطبيعة ، ويقرح الامعاء ، واذا أكثر منه اسهل وقرح المعا ، واعقب سجحا ليس يبرأ . وجالينوس يقول ايضا ان قوته مركبة ، وذلك ان فيه شيئا ارضيا باردا ، والدليل على ذلك قبضه . وفيه ايضا حرارة ، وذلك انه اذا مضغه الانسان واطال مضغه وجد فيه طعما كان الى الحرافة والحدة (ماهو ...) وقد يدل ايضا على ان فيه شيئا من الجوهر الهوائى اللطيف ما هو عليه من الرخاوة والخفة . واكثر دلالته على ذلك أفعاله . وبهذا السبب (........) صار وان كان يقبض فقد يشفى مع ذلك من الفسوخ (١٣) الحادثة في العصب ، والفسوخ الحادثة في العضل ، ويشفى الانتصاب ، ويشفى ايضا المواضع التى

---

* في المخطوطة : في خماد .

تحـدث فيها [الخضرة ، والفـواد] (١٤) اذا طلى عليها بالخل • وقد يسـتدل على افعاله بما فيه من القبض في أفعال قوته في العلل التى صفتها (•••••••) نفث الدم واستطلاق البطن ، وقروح الامعاء ، وذلك لان الشيء اللطيف الهوائى لا يضاد،ولا يعاند الشيء النارى الارضى [•••] رقة ويوصله الى العمق ، ويصير شبيها* برخاوة بما ما هو شبيه برخاوة الرواند الذى ذكره القوم • فاذا نظـر أحد الاطباء في قول القدماء فيه ووصـفه على ان فيه هذه الصفات ، خـرج له أضدادها • وايضا فدياسقوريدوس يقول ان البلسان (١٥) نبت بفلسطين ، وجالينوس يقـول في كتـابه المعجـونات ان البلسـان بفلسطين وبمصر ، وانه شاهدهما واعتبر كل واحد منهما ، فوجـد المصرى ضعيف القوة ، والفلسطينى جيد القوة ، وان حبه يجاء به من فلسطين فقط ، وكذا قال دياسقريدوس • وحب البلسـان يجلب الينا الان من شـجر بالحجـاز وبالبصرة ، ولا يشبه شيء منهما البلسان البتة • وسائر الاطباء يستعملون الى اليوم هذا الحب في الارياح وغيره من الادوية • والبلسان الذى كان ينبت بفلسطين عـدم وجـوده ، بالواحـدة اهمال الناس اعمار الارض •

وشاهدت ايضا أمرا عجيبا هو ان بعض من ينتحل الطب جمع الادوية وعمل منها ترياق الفاروق • فلما اخمر قال بعض الناس عملت ترياقا من أمره كيت وكيت ، وفخم أمره • قال ذلك بما يعتبر صحة قولك** • قال ذلك وامر بأحضار ديكين ، وسلط عليهما حية ، فلسعت كل واحد منهما لسعة متمكنة منه في موضع واحد • وسقى أحد الديكين من ترياقه فمات ، وسـلم الذى لم يسقه الترياق ، فخجـل الرجـل • وقلت أنـا أحسـب العـلة في هـذا هى مـن الادويـة التى الف منهـا للترياق ، لانهـا قـد بـدلت ونسـى كثيـر منهـا والموجود منها اما ان يـكون مغشوشا ، واما ان يكون عتيقـا نخـرا وقد بطلت قوته • وكان ينبغى ان يعمل الترياق من ادوية مختارة ، وليس من بعضها عتيق وبعضها حديث • فاذا كان أحد الادوية على ما عينته ، والاطباء على ما ذكرته ، فكيف

---

* في المخطوطة : شبها

** في المخطوطة : قوله •

لا تمحى محاسن صناعة الطب . اذ قد بطلت (....) منافعها وصار من يخاطب بها في علاج المرضى لا يتبين ما يستقبله من حال المريض قبل امرين احدهما من تقصيره في الصناعة والاخر من رداءة الادوية . فان سلم المريض سلم بالبخت، وان مات كان الاحرى ان يكون سبب موته جهل طبيبه .



الهوامش

(١) لم نعثر على كتاب بهذا الاسم في التراثيات العربية ، وقد يكون فقد قبل ظهور المؤرخين في الطب العربى ٠

(٢) ذكر ابن ابى أصيبعة قصة التدليس في اعمال الصيادلة في كتابه طبقات الاطباء ص ٢٢٢ ٠

(٣)توفي جالينوس سنة ٢٠١م وتوفي ابن رضوان المصرى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦٢م ٠

(٤) الهليج ـ عشبة تنفع الحواس والعقل والصداع ، والعين الرطبة ، ووجع الطحال ، واعضاء التغذية ، والحميات المزمنة (ابن سينا ـ القانون ٢٩٨/١ ، ابن هبل البغدادى ـ المختارات ٦٨/٢ ـ ٦٩) ٠

(٥) العدل ـ هو نصف حمل الدابة ، والعدلان ما تحمله الدابة ، كل نصف على جانب واحد من ظهرها ٠ وقد يستعمل العدلان لحمل طفلين أو طفل واحد ليعادل ما في العدل على الجانب الاخر من ظهر الدابة ٠

(٦) الرطل ـ وحدة وزن مقدارها اثنتى عشرة أوقية ، والاوقية اربعون درهما، والدرهم ستة دوانق والدانق قيراطان ، والقيراط اربع حبات (ترتيب القاموس المحيط ج ٣ ، مادة رطل ص ٣٣٧ ، وجزء ٤ مادة مكة ص ٣٤٣)٠

(٧) اقرأ الفقرة السابقة ٠

(٨) اقرأ الفقرة رقم (٦) ٠

(٩) مارماخور ـ عشبة عطرية ، تحلل وتسكن الرياح ، وتفتح السدد البلغمية، وشرابها مسكر (ابن سينا ٣٦٢/١ ، ابن هبل ١٢١/٢) ٠

(١٠) كبابة ـ حب كالفلفل ٠ يفيد القروح المتعفنة والجروح ، وسدد الكبد ، والمجارى البولية ، وحصاة المثانة ، وبحة الصوت (ابن سينا ٣٣٩/١ ، ابن هبل ١٠٧/٢) ٠

(١١) شيشعان ـ شجرة اغصانها بلون الدم · طيبة الرائحة وتفيد لاسترخاء الاعصاب والمثانة (الغسانى ص ١٤٧) ·

(١٢) الرواند ـ مادة خشبية القوام ، تنفع الطحال ، والكبد والكلى ، والفواق والمعدة واوجاع الفتق · كما تنفع الربو ، والمغص ، والذرب ، واوجاع الرحم ، والنزف الدموى ، والحميات المزمنة (ابن سينا ١/٤٢٩ ، ابن هبل ٢/١٧٦) ·

(١٣) الفسخ : ازالة أو تحرك الشيء (العضو) عن موضعه وجمعها فسوخ ·

(١٤) الفواد هو القلب أو مرض القلب ·

(١٥) البلسان ـ من اعشاب عين شمس بمصر · يفيد حالات البثور ، والاورام، وأدواء المفاصل ، ويبرى غرب العين ، وينفع اليرقان ، ويدر البول والطمث · كما يساعد على اندفاع الجنين والمشيمة (ابن سينا ١/٢٦٥ ، ابن هبل ٢/٣٣٥) ·

الباب الرابع

في اغراض كتب ابقراط ونحـو تعليمه

لو كان ابقراط عرف المتعلمين أغراض كتبه ، اما في مقالة مفردة ، واما في غيرها كما فعل جالينوس المؤيـد ، لكان ذهن المتعلم متسـدد نحـو غرض من اغراضه فيها ، ولكنه اخفى ذلك في جمهورها ليكون المتعلم يفهمه المعلم بالمخاطبة فقط ، وكما فسرها جالينوس ذلك في تفاسيره له ٠ وعلة تفسير جالينوس لكلام ابقراط هى انه وجد كلامه على طريق اللغز ، ووجد التدليس عليه كثيرا ، والمفسرين قد اختلفوا ، فأثبت الصحيح من كلام ابقراط وأبطل التدليس عليه ، وفسر الغامض ، وأفهم اللغة ، وازال الاختلاف ٠ فصير تعليم ابقراط واضـحا ٠ فمن اراد تعليم صناعة الطب فينبغى ان يتقدم فيعلم غرضه في كل واحد من كتبه بحسب ما عرف به جالينوس ٠ وقد رسمت لك من ذلك في هذا الموضع ما فهمته من كتب ابقراط فانى نسخت بعضها ، واشتريت بعضها ، وصححت ما حصل من ذلك في ملكى ، وقرأتها معتبرا بشىء منها بقوانين المنطق ٠ وأخرجت منها فوائد وجعلتها تذكرة ٠ فمن ذلك كتابه في الجنين ضمنه تكوين البدن ، وكل واحـد من الاعضـاء ليقف الطبيب على حـال الخلقة ، فيحفظ الامـر الطبيعى في حال الصحة٠ومن ذلك كتابه في طبيعة الانسان(١) ضمنه تعريف طبيعة البدن ، وانها من استقصات مركبـة قابلة للكون والفســاد [فيـه] ٠ ثـم عـرف في هـذا الكتاب ايضا طريقحفظ البدن ٠ ومن ذلك كتابه في الاهوية والمياه والبلدان ٠ ضمنه تعريف اسباب الامراض البلدية ، وكيف تقاوم حتى لا تحـدث مرضـا ليقف الطبيب عليها ، فيلقى كل بلد السبب الضار بها ويبطل ضرره ، ويعرف ساعة دخوله البلد الاسباب الضارة فيتوقاها ٠ ومن ذلك كتابه في الفصول ضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من

في المخطوطة لشىء شىء

في المخطوطة : ضمنته

في المخطوطة : ضمنته

اعمال الطب . ومن ذلك كتابه في تقدمة المعرفة ضمنه تعرف العلامات التى يقف بهـا الطبيب على احـوال مرض مرض في الازمان الثلاثة ، في الماضى والحاضر والمستقبل (، عرفها) فاذا أخبر بالماضى وثق به المريض فاستسلم له فتمكن بذلك من عـلاجه على ما توجبه الصـناعة . واذا عرف الحاضر قابله بما ينبغى من الادوية وغيرها . واذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل ان يهجم عليه بمـا لا يحمله الى ان يلقـاه بما ينبغى . ومـن ذلك كتـابه في أوجـاع النســاء(٢) ضـمنه تعريف امراض النســاء وتدبيرها وعلاجهـا بذلك (بذلك الطب ايضا) .

ومن ذلك كتـابه في الامراض الحـادة وتدبيرها وعـلاجها . وذكر انهـا صنفان ، أحدهما مرض وافد فقط والاخر مرض قتال يسمى الموتان ليتلقى كل واحد منهما بما ينبغى .

وفي كتاب تذاكير(٣) جالينوس ، يقول حنين وغيره من المفسرين بعلم ابقراط، ان المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب ليست من كلام ابقراط ، وبين ان المقالة الاولى والثانيـة فيهمـا القـول في الامراض الحادة . وان المقالة الثالثة والسادسة ، [تذاكير ابقراط] . اما أن يكون ابقراط وضعها . أو ان يكون ذلك اثبت لنفسه ما سمعه من ابيه على سبيل التذاكير ، ومن أجل ما بينه . وقال جالينوس ، أطرح الناس النظر في المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب فاندثرت .

ومن ذلك كتابه في الاخـلاط(٤) ضـمنه تعريف ما يعرض للبدن من زيادة (الاخـلاط) أو نقصـانها ، أو تغيـير كيفياتها ، وتدبير ذلك ليقف الطبيب على هذا الفن ويلقى كل شيء منه بما يمنع حدوثه ، فيكون ذلك المتقدم بالحياطة ، وان كان قد حدث تلقاه بما يفيد الصحة .

ومن ذلك كتـابه في الغـذاء(٥) ضمنه كيفية اغتذاء الاعضاء وتغير الغذاء

اليها ، ليقف من ذلك الطبيب على هذا الفن ، فيعطى من الاغـذية في كل حـال ما ينفع فقط • فعلى هذا المجرى اجرى ابقراط تعليمه ، وما كان من الطب يجرى أمره على هذا التقدير •

واما ما جرى على العلاج فانه وضع فيه كتبا* ايضا ، منها (كتاب قانون الطب)(٦) ، ضـمنه تعريف القانـون العام في كل واحـد من اعمـال الطب ، والقانون فيما ينبغي ان يجعل نصب العين ، وحاضرا في الذهن في كل واحد من اعمال الطب • وعلم كيفية الجبر ، والربط والخياط ، والبط ، والشق ، ورد الخلع •

ثم كتاب المفاصل(٧) ، ضمنه تعريف رد خلع المفاصل • ثم كتاب جبـر عظام الرأس (٨) ، عرف فيه ان جبر هذه العظام مخالف لغيرها في الجبر ، وكيف تجبر اذا كان الكسر فيها (سيئا) ، وكيف يعالج ما فسد منها ، فهذا ماتأدى لنا** من تعليم ابقراط صناعة الطب • وما وجدنا له كتابا في الادوية المفردة • ولا سمعنا به • وخليق ان يكون ذلك ، لان الحاجة الى تعرفها بالمشاهدة واعتبار قواها ، وامتحان افعالها بالعيان ، كى لا يعرض فيها فساد في اعمال الطب اذا أخـذ خبـرا • فان الطبيب الذى يعطى المريض دواء ما اعتبـر قوتـه وامتحـن فعله ، يخاطر بالمريض من وجـوه ، احـدها ان (لا) يكون الدواء مغشـوشا • والثاني فأن باعة الادوية قد يغلطون أو يتوهمون ، فيعطى أحدهم مكان الدواء دواء غيره • فانى رأيت من دس مخمورة في خمير وخلط بذلك من البازورد(٩) ، وباغذائه ترنجين(١٠) •

والثالث ان الادوية قد يشبه بعضها بعضا ، فيغلط بمشابهتها حتى يعطى احـدها مكان الاخـر • فقد رأيت مرة قنطوريونا***(١١) قد عتـق فظـن بـه اوثق الصيادلة انه غافت(١٢) قد انتشر •

---

* في المخطوطة : كتابا
** في المخطوطة : لنا لنا
*** في المخطوطة قنطود بدنا وهو تصحيف

والرابع انه قد يكون قد تغيرت قوته اما من عتقه أو من التقاطه قبل تكامل قوته .

والخامس ان يكون الدواء قد فسد وبطل ، واستعمل معه غيره على مثال الحال في حب البلسان .

والسادس في منبته في مواضع مختلفة ، فما يوجد منه في موضع بعينه يوافق في الطب ، وما يوجد منه في موضع اخر لا يوافق الطب ، فيؤخذ ما لا يوافق ويستعمل ، وكان الموافق على مثال الخال في عيدان البلسان ، فان الموافق في اعمال الطب هو ما كان ينبت بفلسطين ، والمستعمل اليوم منها ما ينبت بمصر .

والسابع ان يعدم دواء فيجلب بعض الناس دواء غيره ، ويزعم ان ذلك المعدوم على ما رأيته ، فأن الساذج(١٣) الهندى عدم منذ سنتين ، ولم يبق من شاهد [صفته] فجاء رجل بدواء اخر ، وزعم انه الساذج الهندى ، فلما اعتبرته وجدته مخالفا لما ذكره القدماء في الساذج [في] الطعم والرائحة والقوة والفعل فاطرحته .

وللادوية آفات كثيرة وهى مع ذلك ملاك الامر في علاج الأمراض ، فلذلك لم ير ابقراط فيما أحسب ان يضع كتابا فيها ، بل عرض معه فيها لمن يريد الكمال في صناعة الطب . فان هذا لا يكمل حتى يشاهدها ويعرف جميع احوالها عيانا . وليس في ذلك بكثير ولا صعب في جنبه . فاضمانات منافع الصناعة اكتساب الحال بها . فان التجار يخاطرون بما دون ذلك بانفسهم واموالهم التى يمكن ان تسلب منهم في طلب الغنى . والطبيب الكامل لا يمكن ان يسلب غناه ، ولكن حيث كان من الارض يأخذ جميع ما يحتاج اليه ، وله [التقبل] بما في احسانه في علاج المرضى . انظر كم بين من يفرج عن انسان كربة عظيمة من وجع القولنج اذا اصابه أو غير ذلك من الاوجاع الصعبة المهلكة ، وبين ان يكسوه أثوابا أو يطعمه خبزا .

الهوامش

(١) ك· طبيعة الانسان لابقراط (ابن أبى أصيبعة ص ٥٤ ، الحاوى للرازى ١٣/٨ ، ١٤/١١ ، ١٢ /٥٨ ـ ٥٩ ، ١٥٨/١٣ ، ١٧١/١٥ ـ ١٧٣ و

(٢) ك· اوجـاع النسـاء ـ لابقراط ويبحث في اوجـاع انحباس الطمث وفي اختلاطات النفاس (ابن أبى أصيبعة ص ٥٤) ·

(٣) ك· تذاكير ـ لم نعثر على كتاب لجالينوس بهذا العنوان ·

(٤) ك·الاخـلاط ـ لابقـراط (ابن ابى أصيبعة ص ٥٥ ـ ايا صـوفيا رقم ٣٦٣٢) ·

(٥) ك· الغـذاء ـ لابقراط · ويبحث في تحول الاغـذية الى انـواع الاخلاط (ابن ابى أصيبعة ص ٥٥ ، ثابت بن قرة ـ الذخيرة ص ١٧٨) ·

(٦) ك· قانون الطب ـ لم نقف على كتاب بهذا العنوان ، وقد يراد به ناموس الطب أو وصية ابقراط (ابن ابى أصيبعة ص ٤٦) ·

(٧) ك· المفاصل ـ لابقراط (ابن ابى أصيبعة ص ٥٥ ، الرازى في الحاوى ٩٢/١١ ، ١٣٦/١٣ ، ١٧٨) ·

(٨) ك· جبر عظام الرأس ـ لابقراط · (ابن ابى أصيبعة ص ٥٥) ·

(٩) باذوورد ـ يذكره ابن البيطار باسم باذورا · وهو عشبة حبها يشبه القرطم وتفيد الاورام البلغمية ، ونفث الدم ، ووجع الاسنان (ابن سينا ـ القانون ٢٦٥/١ ابن البيطار ·

(١٠) ترنجبين ـ وهو طل يعرف في الشرق الاوسط باسم : من السما · يفيد لدر الصفراء والسعال (ابن سينا ٤٤٣/١ ، ابن البيطار ١٣٧/١) ·

(١١) قنطودبونا ـ عشبة تنفع لنفث الدم ، وفسخ العضـل ، ودر البـول واخراج الجنين الميت ، وعرق النسا (ابن هبل ١٦٨/٢ ، الفسانى ص ٣٩٧) ·

(١٢) غافت نبتة شائكة· لطخاتها تفيد البثور والجروح، وشربتها بالسكنجبين تفيد صلابة الطحال وحالات الكبد والمعدة (ابن سينا ٢٦٩/١) ·

(١٣) ساذج ـ عشبة مائية ، لطخاتها مفيدة في الاورام وحالات الكبد والمعـدة (ابن سينا ٣٥٠/١ ، الغسانى ص ٢١٦ ابن البيطار ٢/٣) ·

الباب الخامس

في كيفية تعليم جالينوس

ولما استكمل ابقراط تعليم صناعة الطب ، وكان نحو تعليمه الاغماض الالغاز ، ان جالينوس شرح ما دونه أبقراط باثبات الاراء الموضوعة فيه ببراهين وحجج ، وابطال الشبه ليتوقى ، وفرق فرق الاراء الرديئة ، وكشف الحق ليتبع ، وابطل الباطل ليتوقى ، وفرق اجزاء المعنى الواحدة من معانى صناعة الطب في مواضع شتى ليخفى عمن لا يستحقه ، مثاله : قوله في المقالة الرابعة من كتاب الادوية المفردة(١) ان ماء اللبن بارد رطب ، وقوله في المقالة الثانية من كتاب الاغذية (٢) ان ماء اللبن حار جاف ، فأنه لما أراد استيفاء القول في ماء اللبن فرق وتكلم في كل موضع بما يليق من هذا المعنى ٠ واذا نظر في ذلك من الادوية له ظن كلامه متناقضا من قبل ما بقى فيه من قوى ما في الدم من الاخلاط الموازية ، ويدل على كل واحد منها ما يجده عيانا يبرد ويرطب ويلطف الاخلاط، ويلين البراز ، ويحدر البراز ويخرجه من المعا [وظاهر ان تلطيفه وتليينه الطبع ، واحداره البراز] هو المراد من القوة الحارة : الحادة التى فيه ٠ وخليق ايضا ان تبريده عن فعل القوة الباردة الرطبة التى هى فيه ٠ وخليق ايضا ان يكون قول جالينوس في كتاب الاغذية : حار حاد ، لما قاسه بما بقى من اجزاء البنية وهو الجزء الجبينى ، والجبن الدسم بما يأخذ من افعالها ٠ وان يكون قوله في كتاب الادوية انه بارد رطب لما قاسه بما ظهر من افعاله ، فانه استفرغ المواد يرطب ويبرد بطريق العرض ، لان المواد قد كانت قبله تسخن البدن وتجففه ٠ ورأى جالينوس ان يتكلم في كل موضع بما يليق في ذلك الموضع ٠ ويختص به بحيث تكلم فيما ينال البدن من اللبن ، قسمه الى أجزائه الثلاثة : الماء والجبن والزبد ، واعطى قوة كل واحد منها على انفراده ، والقوة التى تحصل للبن من اجتماعها ٠ وحين تعلم فيما ينال البدن من الادوية ، اعطى ما يحدثه ماء اللبن في الابدان ، أما لانه اذا أحدر المواد (برد المواد) برد اللبن ورطبه بخروج المواد منه ، أولا لان في ماء اللبن قوة باردة مقترنة ،القوة الحادة ،

---

* لا يبدو لهاتين الكلمتين معنى بهذا الاستطراد

على مثال الحال في الخل ، فان فيه قوة حارة وحادة خلطت فيه من قبل التخمير ، وقوة باردة ظاهرة · وامثلة ذلك كثيرة مشهورة ، فهذا نحو من انحاء (تعليم) جالينوس · ونحو اخر ايضا يتكلم مرة بآراء اصحاب التجربة ، ومرة بآراء اصحاب القياس ، مثاله ما وصف بكتاب الادوية المفردة ، فانه جرى في جميعها على رأى اصحاب القياس ، وبين ان لا طريق لاصحاب القياس الى معرفة قوى الادوية القتالة ، والادوية المخلصة ، والادوية المسهلة وان هذه الادوية الثلاثة من الادوية (····) الطريق الى معرفتها التجربة فقط · ولذلك اهمل ذكر (المحمودة) وما جرى مجراها في هذا الكتاب ، وذكرها في غيره · فان قلت بانه شحم الحنظل(٣) والغاريقون(٤) والصبر(٥) والبستانج(٦) وغير ذلك مما له قوة مسهلة في هذا الكتاب ، فمثل ذلك يدلك على انك ما فهمت كلام جالينوس ، وذلك انه يضع الدواء الذى يمكن فيه بقوانين القياس التى قدمها في الخمس المقالات الاولى من هذا الكتاب ، ان يعرف ان بعض ما فيه من القول بتلك القوانين ويخبر من افعاله مما يوافق قوانين القياس ، فنقول : على طريق القياس انه بحرافته يفعل كذا وكذا ، ونقيضه يفعل كذا وكذا ، وانه لا يمكن له فعل كذا من قبيل ان فيه قوة كذا ، فتصير الادوية التى وصفها في الستة مقالات الاخيرة من هذا الكتاب امثلة شارحة لتلك القوانين ·

وذكر* ان اجود الكتب التى استقصى فيها قوى الادوية بطريق التجربة : كتاب دياسقوريدوس ، ليكون من فهم كلامه وعرف قوانينه ينظر في الدواء ويقرنه بقول دياسقوريدوس ، ويعمل به بعد ذلك مما لم يكن له من الادوية نصيب في تلك القوانين حذف ذكره من هذا الكتاب (كالمحمودة) وغيرها·

---

* يقصد بذلك جالينوس

فانه لا سبيل الى معرفة الادوية الغناة والادوية المخلصة والادوية (المسهلة)* بتلك القوانين · وذكر من اغاليط دياسقوريدوس ما يدعوك الى ان تعتبر قوة الادوية بطريق التجارب وبطريق القياس · مثال ذلك ما حكاه في الطين المختوم(٧) دياسقوريدوس ، وما حكاه جالينوس · فان دياسقوريدوس ذكر انه يعجن** بدماء (التيوس) . وجالينوس سافر دفعة من موضعه الى ان شاهدهذا الطين المختوم فلم يجده يعجن بدماء التيوس ، وعرف صنعته · فبين ما حكاه ان بعض الادوية أخذها دياسقوريدوس خبرا ، وامتحن قواها بالتجربة · وانك متى اردت فضيلة صناعة الطب تفعل في الادوية ما فعله هذان الرجلان ، فعند ذلك تحكم أمرها ·

ثم ان جالينوس ترك ايضا ذكر كثير من الادوية اعتمادا على ان معرفتها بقوانين الادوية التى عرفك اياها في المقالات الخمس الاول من كتابه ، فلو لم يذكر البتة هذه القوانين شيئا من الادوية لكان تعليمه لذلك كاملا من قبل ان تلك القوانين يستخرج [بها] أمر قوى الادوية عن قرب ، ويستنبط أفعالها بكثير دربتك في ذلك · وفي كلام دياسقوريدوس متى ادمت النظر فيه تتقدم لك قوة تتعرف بها قوى ما صادفت من تلك الادوية كائنا ما كان عن قرب وباسهل مأخذ · ولذلك يفتخر علينا من ذلك قوى الادوية التى زعموا انها عرفت بعد دياسقريدوس وجالينوس · فان جالينوس قد علمنا القوانين التى تستنبط على طريق القياس قوى كل ما صادفه من الادوية · ولم يذكر الادوية اعتمادا في انها [كثيرة ومعروفة]***لكن جعلهاامثلة تستخرج بتلك القوانين · وكذلك دياسقريدوس أثبت من الادوية ما اذا ارتاض منه الانسان استنبط على طريق التجربة كل ما يصادفه من الادوية · وهذه الادوية التى يزعمون ان دياسقوريدوس وجالينوس ما عرفوها ولا اثبتت قواها وافعالها كالباذنجان(٨)· ومنها ادوية كالعنبر(٩)، والمسك(١٠) ·

---

* في المخطوطه السهلة

** في المخطوطة : يسعجن والارجح ما اثبتناه

*** في المخطوطة فراغ يستوعبه كلمتين فملاناه بما اثبتنا

والهال، والبرنود* (١١)والجوزبو(١٢) والعود والصندل(١٣) . والكافور(١٤) والتربد(١٥) وغير ذلك فيما لايحصى لم يجاوز عدده الى وقتنا هذا ستين نوعا: وقد بطل معه انواع كثيرة مما اذا احصى كان اكثر من ثلاثمائة نوع من الادوية فياعجبا · ويفخر بذكر ستين نوعا قد أعطى القوم قوانين يتعرف بها ولايكون قبيحا اهمال ثلاثمائة نوع من الادوية حتى تبيد فلا تعرف اليوم ! وعسى ان يكون اكثر الستين دواء قد سميت بأسماء اخر ، فظن من جهل الاسماء ان القوم لم يعرفوها · فان هذا غير ممتنع ، وان امتنع في اكثرها فما يمتنع من بعضها · وليت شعرى اية ضرورة تدعو الكامل في صناعة الطب الى ان يكون قد اثبت له في كتاب قوى الادوية وافعالها وهو قادر ان يتعرف ما يلقاه منها فيجده ثابتا أو في معده ، فيقف بتلك القوانين من ساعته على قواه وافعاله فيسميه باسمه المشهور في زمانه كائنا ما كان ، فانه في هذه الحال افضل منه في تلك الحال ، من قبل انه عاين وشاهد ، وكان في تلك الحال مقلدا لمن تقدمه وعلى خطه اذا كان لا يعلم مثل هذا الدواء على صحته سالما من الغش ، ومن شأنه ما يغلط فيه أم لا ·

ونحو آخر من تعليم جالينوس انه يعرف أنواع الاسباب والامراض والعلاقات فيها ، ويفتقر على تعريف الانواع فقط (ومنه ما يضيف الى ذلك فيه) ···

....

فانه نوع من الماليخوليا(١٦) وهذه العلة داخلة فيها ·········· له ان يجد المحدثين قدذكروا هذه العلة ·········· واستكملوا تعليم هذه الصناعة ·

وكذلك في العلة المسماه أم الصبيان(١٧) ، فانه ضرب من تشنج الدماغ · فمن عرف القول في التشنج عرف هذه العلة · وعلى هذا النوع اجرى جالينوس تعليم هذا النحو من صناعة الطب ·

ونحو اخر من تعليمه ، وهو ان يصنع من الادوية المركبة ما جرت به العادة في زمانه باستعماله ، وكانت المواضع المستعملة فيها ذلك بلادا باردة كرومية وما جرى

* في المخطوطة هرموه

مجراها . ونحن في بلاد حارة كمصر والعراق . فينبغي ان تصنع الادوية المركبة ما يصلح لهذه البلاد ، مثال ماء السكر والجلاب(١٨) . فاذا استعملها مكان ماء العسل الذى كان القدماء يستعملونه ،فظن من لا دربة له ان القدماء ما استكملوا الصناعة ، والامر على خلاف ظنه ، فانهم قد عرفوا ما يوجب حال الهواء والبلد والعادة والسن من تعيين الادوية والزيادة فيها والنقصان منها .

ونحو اخر من تعليم جالينوس هو ان بعدد امراض عضو واحد ، واتخاذ علاجاتها لينحو المتعلم ذلك النحو في سائر الاعضاء .

وامراض سوء المزاج(١٩) ثمانية بلا مادة ، وثمانية مع مادة ، فتصير أمراض سوء المزاج ستة عشر .

والكبد اما ان يحدث سوء المزاج في العروق التى فيها ، أو في لحمها ، أو في الغشاء المحيط بها . فتصير امراض سوء المزاج التى يمكن كونها في الكبد ثمانية واربعين مرضا . وقد اعطى في كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة(٢٠) تعرف علل الكبد واعطى في كتاب المزاج(٢١) تعرف سوء المزاج ، واعطى في كتاب العلل والاعراض(٢٢) ، وفي كتاب الحميات(٢٣) وفي كتابه البنض(٢٤) . فاذا جمعته كله وقفت به على احصاء عدد ما يحدث في كل عضو من امراض سوء المزاج ، والعلامات التى يتعرف بها كل واحد من هذه الامراض .

واعطى ايضا في كتاب حيلة البرء وفي كتاب الادوية المركبة(٢٥) والمفردة ما اذا جمعته كله ايضا وقفت به على علاج كل واحد منها ، وبماذا يتلقى من الادوية بالزيادة والنقصان ، والتغيير بحسب السن . والمزاج ، والبلد والعادة وغير ذلك . وعلى هذا الحال اجرى تعليم الحال في كل واحد من الامراض كائنا ما كان . فاذا كان الامر على ما قلناه فقد استكمل جالينوس شرح ما وضعه ابقراط في صناعة الطب ، ولخصه وشرحه شرحا وتلخيصا لا يخرج الى شيء واحد . فما وضع من الكتب اذن من بعد ذلك فهو فضل ، والفكر فيه والاشتغال بنسخة صارف عن تعليم

مايدخل منها من المضر على صناعة الطب ،لان مذهب اصحاب الحيل ان يصنفوا*
صناعة الطب . فان كان ما وضع بعد ذلك من كناش أو ما جرى مجراه ، فقد
تبين من قرب انه ما أداه اصحاب الحيل الذين ابطل جالينوس صنائعهم ، وعرف
كل واحد من الامراض ويحتم مداواته بأدوية مخصوصة ، وهذا هو بعينه وضع
اصحاب الكنائش ، فاذن يدخل على اصحاب الطب من المضرة بالكنائش ما يدخل
عليها من اراء أصحاب الحيل . فان كان ما وضع بعد جالينوس جوامع لكتب وشروحا
فانها لا تغنى عن كتب جالينوس ، متى قيل ان الجوامع تقتصر عن استيفاء معانى
جالينوس ؟ والشروح تزيد الصناعة وتطولها ، وهذه الكتب تنقل عنها ، وتصحيحها
وقراءتها (. . . . .) من لابد منه في الصناعة ولا ما يشبع جهله. وكان صرف
الانسان النظر فيها ، وفيما لابد منه ، فان عمره أقصر من استيفائه ذلك كله .
وظاهرا انه يستغنى عنها بصناعة المنطق . ومن عرف المنطق أمكنه ما في كتب
جالينوس ، وان يصنع من تلقاء نفسه لكتب جالينوس جوامع وشروحا . وان كان
ما نظر في شيء من كتب الجوامع والتفاسير فضل ، وفيها مضرة من قبل صيرورة
بعض العمر اليها . فالصواب اذن الاقتصار من بعد كتب ابقراط على كتب
جالينوس فقط . وكتب جالينوس في [كتبه] مخلط من براهين وحجج جدلية وغيرها
نقدر ان نميزها بصناعة المنطق على المثال ونحللها فما وجدت قضاياه متعارفة
ومطابقة للامور فهى أقاويل برهانية . وما كانت قضاياه مشهورة فهى حجج جدلية ،
وما كانت قضاياه غير ذلك فهو من تلك الصناعة ، وقصده فيها اثبات الحق في
الطب** ، وابطال الباطل فيها فكثير ما يخلط الحق بالباطل الاراء الرديئة ، وكثيرا
ما يقود القول في كل واحد منها على حدته . وان اتفق لك إن تجد في اقاويله ما لا
ينتج أو ما هو موافق ، فلا تعجب منه ولا تظن فيه انه تعمد التخليط . ولكن اتبع

---

* في المخطوطة يصنعوا

** في المخطوطة : في هذا العب

الاحسن ، وظن به ان كثيرا من مغالطي عصره آذيه بكلام سوفسطائي يغلط في صناعة الطب • فتكلم هو ايضا بهذا النحو ليوقع في اذهان العوام ان النحو فيما وضعه من اراء الطب • ومثال ذلك انه لو لم [يوضع] * في الطب ان الدماغ فيه الحس والحركة أضر ذلك مضرة عظيمة في اعمال الطب •

والمبدأ اسم مشترك يقال على انحاء مختلفة ، فمنه ما هو مبدأ عند الطبيعة وهذا غير محسوس وفي غاية الخفاء ، والنظر فيه للفيلسوف • ومنه ما هو مبدأ عندنا وهذا قريب من الحس • ونظر الطب انما هو من المحسوس وفيما قرب من الحس • وارسطو طاليس نظر في المبدأ المعروف عن الطبيعة وجالينوس في المبدأ المعروف عندنا ، [فلا نترك اسم المبدأ غالط قوم به واوهموا أنهم ينصرون رأى ارسطوطاليس] وكلما عرف جالينوس الفرق في ذلك زادوها في التغليط ، ولم يذعنوا للحق. فعند هذا اضطر جالينوس ان يضع في نظائر ذلك أقاويل مغلطة تحرس صناعة الطب بما يوقع في نفوس المتعلمين من الاراء الصحيحة • ولولا ان هذا الكتاب لا يصلح ان أضع فيه من اقاويل جالينوس شيئا من ذلك لوضعته ، وقد أوضحت نحو هذا في كتابى • والذى تحتاج انت ان تفهمه من هذا الكتاب هو ما عودته من انحاء تعليم جالينوس من صناعة الطب ، فتحظره في ذهنك وتجعله نصب عينيك ، فيسهل عليك بصناعة المنطق ، فتعلم الاراء الصحيحة من الباطلة •

---

* قد تكون في المخطوطة (يوضح) وكلاهما تؤديان نفس المعنى

** في المخطوطة : زادها



الهوامش

(١) ك· الادوية المفـردة ـ لجالينوس في وصـف الادوية باختلاف مصـادرها ، واختبار قواها بالتسخين والتبريد والتجفيف (ابن ابى أصيبعة ص١٤١، احمد الثالث ٣/٥١٢٤ ، بوريانا ٢/٦٠٠) ·

(٢) ك· الاغذية ـ لجالينوس · وهو في قوى الاغذية (ابن أبى أصيبعة ص ١٤٣ . الاسكوريال رقم ٨٠٢ الظاهرية طب ٣٢ ، باريس ٢٨٥٧) ·

(٣) الحنظل ـ عشبة برية · نقيعها بالخل مفيد لوجع الاسنان ، وطبيخها بالزيت يزيل دوى الاذن ، وشربتها لوجع الكلى والمثانة (ابن سينا ١/٣١٦ ، الغسانى ١/١١٠ ـ ١١١) ·

(٤) الفاريقون ـ مـادة تكثر في لحاء الاشـجار المتعفنـة في الارض وشرابه مع السكنجبين لداء المفاصل ، والاورام ، وحالات الصرع ، والربو ، وقرحة المعدة ، وحمى النافض · كما ينفع لدر البـول والطمث واحتقان الرحم (ابن سينا ـ ١/٤٦٧ ابن هبل ـالمختارات في الطب ٢/٢٠٤ . ابن البيطار ٣/١٤٦)·

(٥) الصبر ـ عصارة نباتية·ومعجونه بالعسل يفيد البثور واورام الدبر،واوجاع العضل ، والجروح ، والقروح عامة وشرابه يفيد داء المفاصل وينقى الفضول الصفراوية ويسهل المعدة (ابن سينا ـ ١/٤١٦ ، ابن جزلة ـ مخطوط) ·

(٦) البستانج ـ عود من الحشائش ، يفيد في النفخ والرطوبات وحالات المفاصل ، كما انه يسهل المرة السوداء والبلغمية (ابن سينا ـ ١/١٧٦ ، ابن هبل ٢/

(٧) الطين المختوم ـ وهو الطين الكاهنى ، لونه مائل الى الحمرة ويعمل على شكل كريات ويختم بالخاتم المقدس للالهة ارتميوس (ارطاميس) وهو مفيد لايقاف

النزف الدموى ، ولدغ الافاعى القتالة ، وعضة الكلب المسعور ، ولطخاته نافعة للقروح والاورام الحارة (المجوسى ٢/١٣٠ ، ابن سينا ٣/٣٢٦ ، ابن البيطار ٣/١٠٦) .

(٨) الباذنجان – المطبوخ بالخل يفتح سدد الكبد ، واقماعه المجففة بالظل تنفع البواسير ، والطازج منه يسبب الصداع والسرطان (ابن سينا ١/٢٧٢) .

(٩) العنبر – مادة تلفظها البحار على الشواطىء . يفيد لتقوية الحواس ، والقلب (ابن سينا – ١/٣٩٨ ، ابن هبل ٢/١٥٣) .

(١٠) المسك – مادة تعلق بسرة بعض الحيوانات كالظباء . وهو ترياق لكثير من السموم . ويفيد لتقوية الحواس والبصر (ابن سينا ١/٣٦٠ ، ابن هبل ٢/١٢٢ – ١٢٣) .

(١١) الهرنوة – أو قرنوة . وهى الفليفلة . وتفيد لوجع الحلق وامساك البطن وتقوية الهضم ودر البول (ابن البيطار ٤/١٩٥ والغسانى ص ٥٣٤) .

(١٢) جوزبوا – أو جوز الطيب بحجم العفص ، يطيب النكهة ، وينقى النمش ، ويقوى العين والكبد والمعدة والكلية (ابن سينا ١/٢٨١ ، ابن هبل ٢/٥٠).

(١٣) العود والصندل – وهى عروق شجرة تقلع وتدفن في الارض حتى تتعفن قشورها واوراقها ويبقى عودها ، منه الهندى ومنه الصينى . من مفعوله تطييب النكهة وتنشيف الرطوبة وتقوية الاعصاب والقلب والحواس (ابن هبل ٢/١٥٣) .

(١٤) الكافور – مادة شجرية ، مشروبها يمنع الاورام الحارة ، والرعاف ، والصداع . ويفيد الرمد ، وامراض القلب (ابن سينا ١/٣٣٦ – ٢٣٧ ، ابن هبل ٢/١٠٩) .

(١٥) التريد – اعواد شجر ، تنفع حالات الاعصاب ، وتسهل البلغم ، والاخلاط الغليظة اللزجة (ابن سينا ٢/٤٤٦ ، ابن هبل ١/٢٤٦) ٠

(١٦) الماليخوليا – يتصف المصاب بهذا المرض بالانطواء وازدواج الشخصية ، وسببها نفسانى أو من سوء الخلط السوداوى (الرازى – الحاوى ١/٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ – ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٠ ٠ المجوسى – الملكى ٢/٢٦٤ – ٢٦٧ ٠

(١٧) أم الصبيان – ويسمى ايضا داء الصبيان أو الابلمسيا ٠ وابرز اعراضه الاختلاج والحركات غير الارادية (ابن الجزار – سياسة الصبيان ص ٩٧) ٠

(١٨) الجلاب – مشروب منعش ٠ يعمل من محلول السكر الطبرزد بالماء مع شيء من ماء الورد (ابن سينا – القانون ٣/٣٦٦) ٠

(١٩) المزاج – هى الحالة التى تفيض فيها أحد العناصر الاربعة الاول على غيرها٠ فيكون المزاج بحسب ذلك ناريا أو هوائيا او مائيا او ترابيا ٠ وتحدث هذه الحالة في الانسان كما تكون في النبات ٠

(٢٠) ك٠ تعرف علل الاعضاء الباطنة – لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٦ ، غوتة ١٩٠١) ٠

(٢١) ك٠ المزاج – لجالينوس بثلاث مقالات في مزاجات الانسان ودلائل كل واحد منها ، وفي مزاج النبات واختبار انواعها (ابن ابى أصيبعة ص ١٣ – ١٣٦، باريس ٢/٢٨٤٧ ، الاسكوريال ١/٤٨٤ ، ابن بن الطبرى – فردوس الحكمة ص ٤٢ ، قسطا بن لوقا – اختلاف الناس ص ١٢٩ ، الرازى – الحاوى ١٩/٣٩٣ ، ابن قرة – الذخيرة ٩ ، المجوسى – الملكى ص ٢/١٥ ، القلانسى – الاقربازين ص ١٣٥) ٠

(٢٢) ك٠ العلل والاعراض – لجالينوس بست مقالات في اسباب الامراض واعراضها (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٦ – سراى احمد الثالث رقم ٢١١٠ ، والاسكوريال ٧٩٨ ، وتيمورية بالقاهرة ٨٥ طب) ٠

(٢٣) ك· اصناف الحميات ـ لجالينوس (ابن ابى اصيبعة ص ١٣٧ ، المجلس بطهران رقم ٣٩٧٤ ، الاسكوريال ١/٧٩٧ ، الرازى ـ الحاوى ١٢٥/٤ . ١٩٤ ، ١٢٠/١٩ ، ١٣٤ ١٥٥ ، ابن قره ـ الذخيرة ١٤٨ ، ١٦٧) ·

(٢٤) ك· النبض ـ لجالينوس اكثر من كتاب واحد في النبض ، واكثر الاحتمال يريد بهذا الكتاب : النبض الصغير (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٦ ، اياصوفيا رقم ٣٧٠١ ، المجلس بطهران ٣/٥٢١) ·

(٢٥) ك· الادوية المركبة ـ جزأه الاسكندرانيون الى كتابين أحدهما باسم قاطا جانس ، والثانى باسم الميامر (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٣) ·

الباب السادس

فيما ينبغى ان يتقدم تعليم صناعة الطب :

وصناعة الطب ضربان ، ضرب في اكتساب المال بها ، وهذا الضرب لا يصلحون لتعلمها من قبل انهم اذا صادفوا اكتساب المال باى وجه كان صاروا الى الراحة · فمنهم من يخالط ذوى الاموال ، فيقف بالغدوات على بيوتهم للسلام عليهم ، ويروح بالعشى عليهم فيتعشى معهم ، وينادمهم بالضحكات ، ويغارقهم بشرب الاقداح الكبار ونحو ذلك مما عده جالينوس في المقالة الاولى من حيلة البرء · ومنهم من يدور النهار كله وبعض الليل على العوام ، فيتفقد مرضاهم وان لم يدعوه اليهم · ومنهم من يتزيا بلباس الاطباء المتعارف ويجلس في الحوانيت على الطريق · ومنهم من يحتال بحيلة اخرى أى حيلة كانت بما يكتسب بها ما يحتاج اليه ·

والضرب الاخر (ممن يبتغى تعلم الصناعة)* رغبتهم فيها لاكتساب محاسن الصنعة · فهذا الضرب يصلحون لتعلمها ، ولا يفوتهم بها اكتساب ما يحتاج اليه من المال كما سنبين في اخر هذه المقالة ·

واذا خوطب الضرب الاول فسئلوا عن رغبتهم في صناعة الطب أوهموا الناس ان مقصدهم محاسن الصناعة · ولذلك وضع جالينوس كتابا بين فيه امتحان الاطباء ليعرف منهم المحق من المبطل(١) · وانت فاختر لنفسك اى الامرين شئت ان تكون طبيبا محقا أو طبيب زور ومهرجا على الناس · فان كنت تروم ان تكون محقا فامتحن نفسك ،فان كنت تصلح للتعليم فاشرع فيه ، وان كنت لا تصلح فلا تتعب فيما لا تبلغه · واول ما تمتحن به هو عقلك وفهمك وتواضعك ، ولزومك العفاف ، وصبرك على تعب النسخ · فانك ان كنت جيد العقل زكى الفهم حسن التواضع والعفاف صبورا على تعب النسخ(٢) والتعلم ، غير محتشم ان تتعلم ممن هو أقل حالا

---

* هذه العبارة ليس لها وجود في المخطوطة وقد وضعناها ليتعين سياق المعنى ·

منك ، فقد يرجى لك ادراك محاسن الطب ، وان لم تكن كذلك فليس يرجى لك ما تؤمله منه·وقبل ان تشرع في تأملها ابدأ فارتقى في الحساب والهندسة ثم في صناعة المنطق ، ولا تمعن في واحدة من منزلة الصنائع امعان من يقصد افناء عمره فيها كله * ، لكن امعن حتى تصير لك ** قوة يتهيأ لك بها ان تتعرف فيما يتلقاك فيها· وتوق اذا تعلمت صناعة المنطق ان تقع في الهذيان العنادى ، اعنى ان تتلق كل قوم بما تعاند ، لكن الزم من كل علم وصناعة أصولها ، ولا تلتمس في مطلوباتها ما يوجد في مطلوبات علم اخر · مثاله انه يمكن استقصاء علم البرهان في الامور الهندسية ، ولا يمكن استقصاء ذلك في (مصادرها)*** وان كنت في بلد لا تتأكد فيها هذه الصناعة فلا تختبر اهلها حقهم ، فلا عليك ان تظهر أمرك فيها · وان كنت في بلد يتذاكر اهله هذه الصناعة فتوق ان يظهر أمرك فيها ، وليكن ما يظهر منك ما يتعارف أهل مدينتك ، ولا يتناكرون له · فاذا تعلمت انه النافع لك فلا يهولك ولا يضيق صدرك من جهل غيرك · وبعد احكام هذه الاشياء اسلم نفسك في صناعة الطب ·

---

* في المخطوطة : لكل

** في المخطوطة : له

*** في المخطوطة : مصادراتها

الهوامش

(١) يشير بذلك الى كتاب جالينوس في محنة افضل الاطباء ٠ (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٠ ، الرازى ـ الحاوى ٢٤٦/١٠ ، ٦٠/١٢ ، ٢٤٦/١٤ ، ٠٧٢/١٧

(٢) سبق وذكر كل من جالينوس وابو بكر الرازى في كتابيهما محنة الطبيب (امتحان الطبيب) اقرأ بحث البير اسكندر في مجلة المشرق مجلد ٥٤ ، سنة ١٩٦٠ ص ٤٧١ ـ ٥٢٢ ٠



الباب السابع

في الطريق النافع في تعليم صناعة الطب :

وذلك في حال المعلم واتعلم ، وكيف يكتسب بها المال ، فاول ما يبتدأ به من ذلك ان تقف على ما وصفنا لك في هذا الكتاب ، فتحذق كلما يكثر [بالصناعة] ومن يعرفها كائنـــا من كان ، فتستريح من العناء فيه · ثم شئت ان تقــرأ كتب جالينوس على ما رتبها [ما لايشر بـــه] (·················) وقد جعل ابقراط عيار اعمال الطب الجزئية كل (··············) والنظر بالعقل بالتشبيه بكل ما كان نفعه محسوسا أو قريبا من المحسوس ، أو غير شبيه به فهو متوقى في الصناعة · [ومتعلم]* هذه الصناعة ينبغى ان يكون قد تقدم فارتاض في جميع ما ذكرته ، ويكون شعاره في الناس اشتهاره بالحذق فيها ، وبالعفاف والصيانة والصـــدق والامـــانة ، ويـــكون في زى الزهاد والنساك أو زى الملوك والسلاطين على ما كان عليه من تقدم عمره من الاطباء · وسبيل متعلم هـــذه الصناعة ان يتقدم بهذه الخصال ، ويدمن من اعتبارها الى ان يتخلق بها وتصير فيه ملكة عشرة الزمان · واذا تيقن انه قد علمها وعمـــل اعمـــالا لها ، فليتذكر غرضه من ذلك كشف الكرب عن المرضى ، فانه اذا فعل ذلك لم يعدم فائدة من المال · فان جالينوس يقول :

ان حاله كحال الارض اذا غرس بها غرس أو بذر بها ، لا ان يخرج معه أشياء أخر مقصودة منه أول الامر ··· وقد يتهيأ له ان يشترط في علاج مرضى ذوى اليســـار عندما تشتد بهـــم الاوجاع ما شاء من المال ، فمتى علم انه يفى بما

---

* في المخطوطة : وفعلم

شرطوا له عليه من أجر عمله ، وليكن ما يكسب من المال مصروفا في المنافع الذى يليق به ، اعنى اسعاف الاقارب والمعارف والنفقة على الادوية التى يعالج بها المرضى ولا يمتنع في حال من الاحوال من علاج الفقراء والافضال عليهم ٠ وليكن أمره على المرضى من غير قهر ولا قوة ، بل يخاطبهم بألين خطاب وطلاقة وجه ٠ ومن ابى من العلاج وقدر أن يقهره على ذلك ممن يمسكه له أو نحو هذا ، لم يمتنع من هذا العمل ٠ وكيف تصرفت الاحوال فلا يمتنع من شيء يؤدى الى نفع المرضى من غير فضاضة ولا قوة ، ويتوقى ان لا يحتشم من الفحص واستقصاء المسألة عما ينتفع به ويحتاج الى معرفته ٠ ولا يبالى اذا اقتنع المريض ومن يحضره كيف أقنعهم بعمل من اعمال الطب أم بحيلة أخرى متى كان فعله هذا يؤدى الى انتفاع المريض ٠ فان خدم بصناعته ملكا فالاجود ان يوقع في نفسه أنه من النساك ٠ وان من كمال صناعة الطب جلوسه بعد فراغ خدمة الملك ، اما متفرغا للنظر في صناعته ، واما مجتهدا في علاج الفقراء ٠ وان عالج العوام فالاجود ان يوقع في نفوسهم انه من الكبراء ٠

واذا فرغنا من هذا الكتاب فقد بقى علينا منه شيء اخر ، وهو ان نخبر بترتيب كتب جالينوس في المقالة التى ذكر فيها ترتيب قراءته كتب جالينوس ، فان ذلك حسن ٠ وان شيت ان تقرأها على ما رتبه أوجه الاطباء بالاسكندرية ، فان ذلك أخص ٠ وان شيت ان تقرأ كتب جالينوس التى فسر عن ابقراط ، فقد ذكرنا لكم فيما تقدم اغراضه فيها ٠ وليكن نظرك في هذه الكتب أما بينك وبين معلم حاذق فيها وفي اعمال صناعة الطب ، فانه لا يكتفى ان يكون عارفا بما فيها حتى يكون متدربا في الاعمال الجزئية في الصناعة ٠ واما بينك وبين نفسك فلا تمر بشيء فلا تصير منه الى ما بعده حتى تحكمه وتعتبره بصناعة المنطق ، فان صادفت فيها ما يوقع لك الشك فابلغ في الشكوك فيه الى ان يظهر لك أمره ،

ولا يبقى عليك منه شيء • فان كان التشكك يؤدى الى شيء من العلوم والصنائع الخارجة عن الطب ، فقف عند الامور الطبية ولا تتعداها فتصير الى الهنديان العنادى •

والامور الطبية اما ان تكون محسوسة واما ان تكون قريبة من المحسوسة، واما مطابقة للمحسوسة • فاقسم تعليم صناعة الطب بقسمين ، أحدهما تعرف النظر فيه اما في كتب ابقراط واما في كتب جالينوس ولا تخرج منها الى غيرها* • وان شيت تجمع النظر في كتبهما فهو أبلغ واشرح • وآخر تصرفك في تعليم الصناعة اعني الجبر ورد الخلع والشق والخياطة والكى والبط والكحل وساير اعمال اليد • ولا تتعلم تعلم كسلان الا النظر اليها ومعرفتها بالعيان واختيار الجيد منها ، وساير ما يحتاج اليها فيها •

وقد تحتاج ايضا ان تختبر (اطعمة ** المرضى(١) فتعنى في صناعة الاطعمة وانواع الطبيخ ، فانك ما اكثرت من هذه الا شيئا كان امكن بفضلك ، فاحسن في صناعتك • ولاسيما فان كثيرا من المرضى اذا كانت أمراضهم طويلة يخالفون الاطباء ، ويصيرون الى ما يشتهون • فعند هذه الحال يعظم موقعالانتقاء بصنعة الاطعمة وانواع الاطبخة • فان المتدرب في هذه الصنعة يتهيأ له من عمل المزورات ما يوهم المريض انه بلغ في شهوته ما اراد • مثال ذلك ربما اشتهى نقانق(٢) أو جوذابا(٣) ، فيعمل له من مزورات وغيرها على هذه الالوان ، وتعمل له شهوته ويزيد فيها أو ينقص منها في التركيب ما يدفع ضررها ان ينحى الضار منها ، ويجعل بموضعه على رأى الاسكندرانيين • ثم [نقطع] هذه المقالة ان شاء الله •

---

* في المخطوطة : خيرها

** في المخطوطة ارضية المرضى

الهوامش

(١) اشهر كتب أطعمة المرضى هو الذى كتبه نجيب الدين السمرقندى المتوفي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م ٠ أما الكتب التى تبحث في الاطعمة عامة فكثيرة ، منها لروفس الاخسسى (وقد ترجم الى العربيـة) ، والرازى ، وابن مندويـه والاصفهانى ، والكندى ولغير هولاء كثير ٠

(٢) النقانق ــ قطع من ثرب أو أمعاء الذبايح محشوة بالارز واللحم المفروم ، وتؤكل مطبوخة او مشوية ٠ ولا تزال هذه الاكلة مألوفة في العراق الى هذا اليـوم ٠

(٣) الجوذاب ــ من الاطعمة التى تؤكل بعد وجبات الطعام ٠ عرف منها جوذاب الخبز ، وجوذاب القطايف ، وجوذاب التمر ، وجوذاب اللوز (ابن الكاتب ص ٧٠ ــ ٧٢) ٠



الباب الثامن

في اقتصار الاسكندرانيين على عشرين كتابا ، اربعة من كتب ابقراط وستة عشر من كتب جالينوس •

اذ كان بعضها (اى تلك الكتب)* تفاسيرا وجمهورها قصد تعليم الصناعة • ولم يبق أحد من الملوك يرغب الناس للتعليم ، ومال الناس الى التقريباب بالكنائش وما جرى مجراها ، رأى أحد** الاطباء بالاسكندرية انه ان تمادى ذلك درست الصناعة وبطل ما عمل فيها ابقراط وجالينوس اللذان تمماها • فسألوا ملوك النصرانية (••••••••••••••) التعليم *** بالاسكندرية ، وان يكون ما يتعلم من صناعة المنطق الكتب الاول أعنى قطاغورياس (١) وارمنياس (٢) •••••••••••• والقياس والبرهان ، ومن الطب عشرون كتابا ، فسهل ذلك على ملوك هذه الملة • واتصل هذا التدريس بالاسكندرية الى أيام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، فان القسم الذى كان بالتدريس اسلم على يديه(٣) حين كان اميرا قبل ان يصير الملك اليه • فلما اقضى الملك الى عمر نقل التدريس الى انطاكيا (٤) وحران (٥) وتفرق في البلدان وتحير التعليم الى ايام المأمون ، فانه احياه بتقريبه افاضل الناس • ولولا ذلك لكانت علوم القدماء (كلها) من الطب والمنطق

---

* ليس لهذه العبارة وجود في المخطوطة ، وقد اضفنا لنوضح اشارة المؤلف الى الكتب المعنية •

** في المخطوطة (وحد) ، وربما يعنى به انقلاوس • ويقول ابن ابى أصيبعة (ص ١٥١) جماعة من الاطباء لا واحد فقط •

*** في المخطوطة التعلم •

والفلسفـــة نسـيت اليوم في البلدان التـى كانت أخصـ البلدان بهـا ، اعنى رومية واثينا ونواحى الروم وفي كثير من البلدان ٠

واقتصر اوجه الاطباء(٦) بالاسكندرية على اربعة كتب من كتب ابقراط وهى : الفصـول وتقـدمة المعرفة ، والامراض الحادة ، وكتاب الاهوية والبلدان والمياه ٠ لان من كانت له قريحة جيدة ، وهمة حسنة ، وحرص على التعليم ، اذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه مما يرى فيها من عجائب حكمة ابقراط في الطب في باقى الموجود من كتب ابقراط ٠ وهذه الغموض بعينه كان قصدهم في الاربعة كتب المنطقية ، فان النفس تدعو من له حرص ما ان ينظر في الاربعـة الكتب الباقية من المنطق ، والى ان ينظر في كتب الفلسفة ٠ [ولما] قصر هؤلاء هذا الغرض في كتب جالينوس اختاروا منها ستة عشر كتابا ورتبوها* في سـبع مراتب :

المرتبة الاولى : مدخل الى صناعة الطب ، فان من حصل له هذه المرتبة يمكنه ان يتعاطى اعمال الطب الجزئية ، فيتذوق حلاوتها ، فان كان له من فراغ للتعلم تعلم ما بعـدها ٠ وان لم يـكن له فراغ لم يكد يخفى عليـه منافعها في عـلاج الامراض ٠ وان كان فقيرا اتسع له ان يعالج بما فهم منها من يأخذ منها حاجته من المال ٠ وجميع هذه المرتبة اربعة كتب : أولها كتاب الفرق ، يستفاد منه قوانين العـلاج على رأى اصـحاب التجـربة وايضـــا على رأى اصـحاب القياس ٠ واذ كان بالتجربة والقياس تستخرج الناس جميع ما في هذه الصناعة، وما اتفقا** عليه فهو الحق ، وما اختلفا فيه نظر ، فان كان على طريقة القياس عمـل على قوانين القياس ، وان كان على طريق التجـربة عمـل على طريق التجـربة ٠

---

* في المخطوطة : ورثوها

** في المخطوطة : اتقنا

والثانى كتاب الصناعة الصغيرة*(٧) ، يستفاد منه جمل صناعة الطب النظرى منها والعلمى .

والثالث كتاب النبض الصغير(٨) يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في العلاج للامراض .

والكتاب الرابع ، الكتاب المسمى باغلوقن(٩) وهو مقالتان ، ويستفاد منه كيفية التأتى في شفاء الامراض . ولان [من] تعاطى الاعمال الجزئية في الطب يضطر الى معرفة قوى ما يحتاج اليه من الاغذية والادوية الى ان يباشر بنفسه اعمال اليد من صناعة الطب ، لزمه ان ينظر قيها [ما] تدعو اليه الحاجة من الكتب التى سماها جالينوس ، من ذلك كتاب الصناعة الصغيرة . أو يتعلم ما يحتاج اليه من ذلك تلقينا ومشاهدة . فصار في المرتبة الاولى خمس مقالات مقنعة في تعليم صناعة الطب ليوقف منها على عجيب صناعة الطب . ويذوق لها المتعلم حلاوة منزلة الصناعة ، ويتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة .

والمرتبة الثانية أربعة كتب الاول منها كتاب الاسطقصات(١٠) يستفاد منه ان بدن الانسان وجميع ما يحتاج اليه سريع التغيير ، (.............) الى الاستحالة ، فمن ذلك اسطقصات البدن القريبة منه والاعصاب والشرايين والعروق والاغشيةواللحم والشحموغيرذللك. واستقصاتهذهالاعضاء[هي]** الاخلاط : الدم ، والصفراء ، والسوداء والبلغم . واسطقصات هذه الاخلاط : الاركان ، أعنى النار والهواء والارض والماء . فان مبدأ التكوين من هذه الاربعة ، واخر الانحلال اليها . وان هذه الاسطقصات قابلة للتغيير والاستحالة . وهذا الكتاب هو اول كتاب يصلح ان يبدأ به من أراد استعمال صناعة الطب .

---

* في المخطوطة : الصناعة الطبية

** اضفنا كلمة (هى) ليتوضح المعنى المقصود في السياق

والثانى : كتاب المزاج ، يستفاد منه اصناف المزاج وبماذا تتقدم كل واحد منها ، وبماذا يستدل عليه اذا حدث له مرض ٠

والثالث : كتاب القوى الطبيعية(١١) ويستفاد منه معرفة القوى التى تدبر بها الطبيعة البدن واسبابها والعلامات التى يستدل بها عليها ٠

والرابع : كتاب التشريح الصغير(١٢) وهو خمس مقالات وضعها جالينوس متفرقة وجمعها في كتاب واحد الاسكندرانيون ٠ يستفاد* منه معرفة اعضاء البدن المتشابهة الاجزاء وعددها ، وجميع ما يحتاج اليه فيها ٠ فجميع ما في هذه المرتبة من المقالات اثنى عشر مقالة ، والاسطقصات مقالة واحدة ، والمزاج ثلاث مقالات ، والتشريح الصغير خمس مقالات يستفاد من جميعها الامور الطبيعية للبدن ، اعنى الى قوامه بها ٠ واذا نظر فيها محب التعلم اشتاق ايضا الى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن ٠

أما كتاب المزاج فيتشوق الى مقالته في خصب البدن ، ومقالته في الهيئة الفاضلة ، ومقالته في سوء المزاج المختلف ٠

أما كتابه في القوى الطبيعية فيشوق الى كتابه في المنى ، وكتابه في آراء ابقراط وافلاطون ٠

وكتابه في منافع الاعضاء وسايرها ، وضعه جالينوس في القوى والارواح والافعال ٠

أما كتابه في التشريح الصغير فيتشوق الى كتابه في عمل التشريح(١٣) ونحوه ٠

---

* في المخطوطة : استفاد منه

والمرتبة الثانية : كتاب واحد فقط ، فيه ست مقالات ، وهو كتاب العلل والاعراض · وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة وجمعها الاسكندرانيون في كتاب واحد يستفاد منه معرفة الامراض واسبابها ، والاعراض الحادثة عن الامراض · وهذا باب عظيم العناء في صناعة الطب على رأى جالينوس وهو القياس · وهو أصل عظيم اذا وقف الانسان على ما في هذا الكتاب فهمه لم يخف عليه من صناعة الطب قليل ولا كثير ·

والمرتبة الرابعة : كتابان ، الاول منهما كتاب تعرف الاعضاء الباطنة(١٤): ست مقالات يستفاد منه تعرف كل علة من العلل التى تحدث في الاعضاء الباطنة · وان هذه الاعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لانها خفية عن الحس ، فتحتاج الى ان يستدل عليها بعلامات يقوم كل واحد منها ، فاذا ظهرت العلامة المقدمة [يتيقن] ان في العضو الفلانى علة كذا · مثاله ذات الجنب ، وهو ورم يحدث في الغشاء المبطن للاضلاع · والعلامات التى تتقدمه ضيق النفس ، والوجع الناخس ، والحمى في والسعال · فان هذه اذا اجتمعت علم ان في الغشاء المستبطن للاضلاع ورما حادا ·

ولم يضع جالينوس كتابا في تعرف علل الاعضاء الظاهرة ، اذ كانت هذه العلل تحت العيان ، فيكتفى في تعرفها بنظرهما بين يدى* المعلمين عيانا فقط ·

والثانى [اى الكتاب الثانى من المرتبة الرابعة]** كتاب النبض الكبير(١٥) ستة عشر مقالة · يستفاد من الاربع مقالات الاول منها معرفة اصناف النبض ، وجزئيات كل صنف منها · ومن الاربع مقالات الثوانى تعريف ادراك كل واحد من اصناف النبض بالجس · ومن الاربع مقالات الثوالث تعريف كل واحد من اسباب النبض · ومن الاربع مقالات الاواخر تعريف منافع اصناف

---

* في المخطوطة : يديه

** هذه العبارة من وضعنا وقد اثبتناها ليتوضح تسلسل الكتب في هذه المرتبة ·

النبض وهو باب عظيم النفع في الاستدلال على الامراض ومعرفة قواها وقياس قوتها الى قوة البدن · ونحو هذا ·

والمرتبة الخامسة : ثلاثة كتب ، الاول منها كتاب الحميات(١٦) ، مقالتان يستفاد منها معرفة طبائع الحميات وما يستدل به على كل صنف منها ·

والثانى كتاب البحران(١٧) ثلاث مقالات يستفاد من معرفته اوقات المرض ليعطى المريض فيكل وقت منها ما يوافق مرضه ، ومعرفة ما يؤل اليه الحال في كل واحد من الامراض ، هل يؤل أمره الى السلامة ، وكيف يكون ، وبماذا يكون ·

والثالث كتاب أيام البحران(١٨) ، وقوة الايام التى يكون فيها واسبابه وعلاماته ·

والمرتبة السادسة : كتاب واحد ، وهو كتاب حيلة البرء ، اربع عشرة مقالة · يستفاد منه قوانين العلاج على رأى اصحاب القياس في كل واحد من الامراض . وهذا لكتاب اذا نظر فيه الانسان اخطره الى ان ينظر في كتاب الادوية المفردة · وفي كتب جالينوس في الادوية المركبة اعنى قاطاجنس(١٩) ، والميامر(٢٠) ، والمعجونات(٣١) ونحو هذه الكتب ·

والمرتبة السابعة : كتاب واحد ، وهو تدبير الاصحاء (٢٣) ، ست مقالات يستفاد منه حفظ صحة كل واحد من الابدان · وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اخطره الى ان ينظر في كتاب الاغذية ، وفي كتاب جودة الكيموس (٢٣) ورداءته · وفي كتابه في التدبير الملطف (٢٤) في (٠٠٠٠٠٠) الرياضة · مثال ذلك ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة(٢٥) ونحوها ·

والكتب الستة عشر التى اقتصر الاسكندرانيون على تعليقها تدعو الناظر فيها الى النظر في جميع كتب جالينوس التى استكمل بها صناعة الطب ، مثال ذلك ان آلة الشم يتعلق بها في المرتبة بالنظر في كتابه في علل النفس(٢٦) · ويتعلق ايضا بهذه المرتبة النظر في سوء النفس · وكتابه في منفعة النبض(٢٧) وكتابه

في حركة الصدر ، والرئة (٢٨) وكتابه* في الصوت (٢٩) وكتابه في حركة العضل (٣٠) وكتابه في الحركات المتاضنة(٣١) ، وكتابه في أدوار الحميات (٣٢) وغير ذلك من كتبه ومقالاته ورسائله ، كل واحد منها له تعلق بكل واحد من المراتب السبعة أو بأكثر من مرتبة واحدة تدعو الضرورة الى النظر فيه . فاذا ما فعله الاسكندرانيون في ذلك حيلة حسنة ، أحيوا بها صناعة الطب ، ووجب لهم بذلك الشكر على كل من أتى بعدهم من لاطباء والفلاسفة وغيرهم .

---

* في المخطوطة : وكتاب

كملت المقالة الاولى من الكتاب
النافع بحمدالله . تلوه المقالة
الثانية ان شاء الله تعالى .

الهوامش

(١) كتاب قطاغورياس ـ هذا الكتاب لارسطو (ابن أبى أصيبعة ص ١٠٤) وقد ترجمة حنين بن اسحاق ، وكان شرحه كثير من الفلاسفة الاروام، كماشرحه يحيى بن عدى ، وابو نصر الفارابى واختصره ابن المقفع ، ويعقوب الكندى، واسحاق بن حنين ، وأبو بكر الرازى ، وابو الفرج عبدالله بن الطيب (القفطى ص ١٧٥) .

(٢) ك· أرمنياس ـ لارسطو · نقله حنين بن اسحاق الى السريانية ، ونقله ابنه اسحاق الى العربية · وفسر النص العربى كل من قويرى ، وابو بشر متى· واختصره ابن المقفع ، والكندى ، وابو بكر الرازى ، وثابت بن قرة (ابن القفطى ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ابن ابى أصيبعة ص ١٠٤) .

(٣) ابن ابى اصيبعة ص ١٧١ · وهو يشير بذلك الى اسلام عبد الملك ابن ابجر الكتانى على يدى الامير عمر بن عبد العزيز · كما ان العبارة تفيد بأن بعضا من اصحاب عبد الملك قد اسلموا معه ·

(٤) انطاكية ـ مدينة على نهر العاص بسوريا ، اسسها السلوقيون واتخذوها عاصمة لدولتهم · فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب واسترجعها الروم سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م (معجم البلدان ٤/٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

(٥) حران ـ مدينة عريقة في التاريخ · تقع في شمال ما بين النهرين · سكنتها الاشوريون ثم اليونانيون ثم الروم · وسكانها من عبدة الاصنام ولهم فيها معبد للقمر · فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب (معجم البلدان ٢/٢٣٣) .

(٦) حكمـاء الاسـكندرية الذين جمعـوا كتب ابقـراط وجـالينوس العشرين وفسروها هم: انقلاوس وجاسـيوس واصطفن ثاودوسـيوس واكيـلاوس وفلاديوس ويحيى النحوى (ابن ابـي اصيبعة ص ١٥١ ، اسحاق بـن حنين ص ٦٩) .

(٧) ك. الصناعة الصغيرة ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٤ ـ **الاسكوريال** رقم ٨٨٣ ، المتحف البريطانى ٥٢ شرق) .

(٨) ك. النبض الصـغير ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعـة ص ١٣٤ ـ **المجلس** بطهران ٣/٥٢١ . وقد اختصره ثابت بن قرة وفسره ابو الفرج بن الطيب (ابن ابى أصيبعة ص ٢٩٩ و ٣٢٥ بالتعاقب) .

(٩) يقصد به كتاب الى اغلوقن في التأتى لشفاء الامراض (ابن ابى أصيبعة ص ٤٥٦ ، المتحف البريطانى ٢٣٤٠٧ طب عربى) .

(١٠) ك.الاسطقسات ـ كتبه جالينوس على رأى ابقراط في العناصر الاربعة أو الاركان (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، أيا صوفيا رقم ٣٥٩٣) .

(١١) ك. القوى الطبيعية ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٦ ، سراى احمد الثالث رقم ٤٣٣) ، لايدن ١٢٤٧ ،اسكوريال ٨٤٦ ، الرازى ـ الحاوى ١٦٢/٧) .

(١٢) كتاب التشريح الصغير ـ وهو اختصار لكتاب مارينس في التشريح (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٨)

(١٣) ك. في عمل التشريح ـ أو التشريح الكبير ، أو علاج التشريح (ابن ابى أصيبعة ص ٩٨ ـ لا لى برقم ١/٦٢٤ ، والمتحف البريطانى برقم ٢٣ ، وباريس الوطنية رقم ٢٨٥١ ، الرازى ـ الحاوى ١٨٣/٣ ، ٢٠٦ ، ١٢/ ١٥٥ ، ١٩٩ ، ٢٢٢) .

(١٤) ك· تعرف الاعضاء الباطنة ـ اسمه الكامل تعرف علل الاعضــاء الباطنة وقد مر التعريف به في هوامش الباب الخامس ·

(١٥) ك· النبض الكبير ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٢٩ ، دانشكاه ٢٤٠٨ ، المجلس بطهران ٣٩٧٤ ، غوته ١٩٠٤ ، الرازى ـ الحاوى ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ٢٢٤ ، ٧/١٤) ·

(١٦) ك·اصناف الحميات ـ لجالينوس (ابن القفطى ص ١٢٩ ، الاسكوريال رقم ١/٧٩٧ ، المجلس بطهران ٣٩٧٤ ، ابن قرة ـ الذخيرة ١٤٨ ، ١٦٧، ١٦٨ ، الرازى ـ الحاوى ١٢٥/٤ ، ١٩٤ ، ٧٦/١٣ ، ١٢٠/١٩ ، ١٣٤ ، ١٥٥) ·

(١٧) كتاب البحران ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٣٧ ، المجلس بطهران رقم ٣٩٧٤ ، الاسـكوريال ٣/٧٩٧ ، الرازى ـ الحاوى ١١٣ ، ١١٨ ، ١/١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ابن قرة ـ الذخيرة ١٦٣ ·

(١٨)كتاب أيام البحران ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ١٣٧ ، الاسكوريال رقم ٢/٧٩٧ ، المتحف البريطانى رقم ١١/٦٦٧٠ ، ابن قرة ٢٧ ، احمد بن يوسف ـ شرح الثمرة لبطليموس برلين ٥٨٧٤) ·

(١٩) ك· قاطاجنيس ـ لجالينوس ، وهو أحد قسمى كتابه في الادوية المركبة (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٣) ·

(٢٠) ك· الميامر ـ لجالينوس ، وهو القسم الثانى من كتابه في الادوية المركبة ١٣٤ ، اياصوفيا رقم ٣٥٨٨ ، ويلكوم بلندن رقم ٦٢ شرق ، دانشكاه برقم (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٣) ·

(٢١) المعجونات ـ لم نقف على هذا الكتاب في مؤلفات جالينوس ·

(٢٢) ك·تدبير الاصـحاء ـ لجالينوس ، وهو في الطب الوقائى · (ابــن ابى

أصيبعة ص ١٤٩ ، باريس رقم ٢٨٥٨ ، الاسكوريال ٣/٨٠٢ ، ابن بن الطبرى ـ فردوس الحكمة ص ٩٧ ، الرازى ـ الحاوى ١٩/١٩ ، ٣٣/٢٠، ٣٠٥ ،ابن قرة ـ الذخيرة ص ٦ ، ٧٤ ، ١٧٤ • المجوسى ـ الملكى ٧/٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ابن البيطار ٨٥/٢ ، ٣٤/٣ ، ٩٩/٤ •

(٢٣) ك• الكيموس ـ لجالينوس (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٣ ، كما يذكره الرازى باسم الكيموسين ، الحاوى ٥٣/١٣ ، ٣٢٠/١٩ ، ٤١٠ ، ٣٣/٢٠، ٦٦ ، ١٣٢ ، ١٥٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ابن البيطار ـ الجامع ١٨/١ ، ١٠١/٢ ، ١٦٤/٣ ، ٥١/٤ ، ٧٩ •

(٢٤) ك• التدبير الملطف (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٣ ، الرازى ـ الحاوى ٦/٤ ، ٢٦/١٥ ، ٨٣/٧) •

(٢٥) ك• الكرة الصغيرة ـ لجالنيوس • وفيه عن فوائد اللعب بالكرة الصغيرة (ابن ابى أصيبعة ص ١٤٤) •

(٢٦) ك• علل النفس ـ لجالينوس ، وهو في حركة التنفس (اليعقوبى ١١٤/١، ابن ابى أصيبعة ص ١٣٩ ، الرازى ـ الحاوى ٦٦/٩) •

(٢٧) ك• منفعة النبض ـ لجالينوس (باريس ٢٨٥٣ ، اسكوريال ٨٥٠ ، المتحف العراقى ١٠٧ ، عريب ـ الجنين ص ٩ ، ٢٤) •

(٢٨) ك• حركة الصدر والرئة ـ لجالينوس (اليعقوبى ١١٤/١ ، ابن ابى أصيبعة ص ١٣٩) •

(٢٩) ك• في الصوت (اليعقوبى ١١٤/١ ، ابن ابى أصيبعة ص ١٤٠) •

(٣٠) ك• الحركات المعتاضة ـ لجالينوس بمقالة واحدة في حركات تظهر في الجسم ولم تكن معروفة قبله • وقد تكون هذه هى الحركات التى تعرف اليوم باسم الحركات المنعكسة •

٢ ـ نص وتحقيق المقالة الثانية

من الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

المقالة الثانية من الكتاب النافع
وهى ثلاثة أبــواب

الباب الاول في الاسباب المغلطة لواضعى الكتب في الطب بعد جالينوس .

الباب الثانى في أن حنينا يغلط ويخطى في مصنفاته أغاليط ضارة في صناعة الطب.

الباب الثالث في ان الرازى يظن انه قد فهم ما في كتب جالينوس وليس ما ظنه من ذلك صحيحا .

الباب الاول

في الاسباب المغلطة لواضعى الكتب في الطب بعد جالينوس ·

قد عرف الفاضل جالينوس في كتبه لمن شرع في تعليم صناعة الطب في استيفاء فهمها والحصول على منافعها ، ان يتقدم فيتأدب المرتاض في آداب وعلوم وصنائع كثيرة ما هو ضرورى في صناعة الطب كصناعة المنطق ، ومنها ما ليس ضروريا كالنجوم ·

ونحن نوضح في هذا الكتاب مقدار حاجة الطبيب من كل واحد من الآداب والصنائع · ونبين انه لما عدم مصنفوا الكتب بعد جالينوس معرفة هذه وجبلوه، غلطوا في كتبهم واخطأوا خطأ عظيما بعظم ضرره في هذه الصناعة · فمن ذلك اللغة والنحو ، فانه يكتفى منهما بكتاب واحد مختصر من كتب المتعلمين لها ، وذلك ان المتعلم بصناعة الطب اذا حصل له ما يميز من الكلام ، ويفرق بين الموضوع (··········) والمحمول ، اقتدر بذلك على المخاطبات المسموعة من الاطباء ، والمخاطباب التى كتبها من مات ، وبين انه لا يحتاج في حفظ الصحة ولا في علاج المرضى الى شيء من اللغة والنحو(١) ، فلذلك لا [عتب على من] لحن في كلامه أو لم يلحن ، والتعمق فيهما صارف عن تعليم صناعة الطب، فاذن لا حاجة الى هذين مثل حاجة المتعلم لهما الى الكامل فيهما · ذلك انه اذا ميز الكلام وفهمه امكنه ان يتعلم صناعة الطب ، كان فصيحا أو غير فصيح ، ولعمرى ان الاحسن ان يكون فصيحا · ومن ذلك علم الحساب والعدد والمساحة والهندسة (والموسيقى) والنجوم ، يستخرج بها ذهنه ويعتاد البرهان ويألف الحق . اذ كان يحتاج المتعلم بصناعة الطب اكيس الناس واذكاهم ، واكثرهم حبا للحق والبرهان · وهذه الصنائع ايضا في صناعة الطب ، لان بالحساب والعدد تستخرج

اوزان الادوية ، وكل ما يحتاج الى حسابه ، مثال ذلك اذا كان دواء حارا في الدرجة الثانية واخر حار في الدرجة الثالثة ، وأخذ منهما مقدارا لتساويا ، كان اؤلف منهما حارا في نصف الدرجة الثالثة لا يجمع الثانية والثالثة وتأخذ نصفها فتكون اثنان ونصف • وبالحساب والهندسة نوقف على اشكالها ، وتجاويفها ، واتصالاتها وسائر ما يحتاج اليه في خلقها (و ......) بذلك ايضا في علاج الاورام والقروح وسائر ما أشبه ذلك • فان القرحة المدورة اوسع من غيرها مما يظن انه قدرها ويحتاج في اثبات اللحم الى ان يجعل القرحة زوايد تنبت الطبيعة منها اللحم •

وبصناعة التأليف يسهل تأليف الادوية المفردة* على ما ينبغى ، ويستعان بها في حفظ الصحة كالالحان الموافقة للامزجة •

أما في علاج الامراض فبالالحان المضادة للمزاج ، وبعلم النجوم ليوقف على طلوع الكواكب الثابتة وغروبها ، وزيادة الحر وافراطه ، وهبوب الرياح ، ومدود الانهار والامطار ، كما سن ابقراط وفصل مبادىء السنة بطلوع الكواكب الثابتة وغروبها •

وايضا فقد بين في كتاب أيام البحران وغيره ، ان معرفة مسير الشمس والقمر والكواكب الخمسة المتميزة التى هى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، نافع جدا في معرفة أيام البحران ، وحال البحران نفسه هل هو سليم أو مهلك ، أو تام أو ناقص • وانا ، لدى ان التعمق في هذه العلوم صارت [من استيفاء سمع به في صناعة الطب] وانه يكفى للمتعلم في كل واحد منها بعض المختصرات منها ، مثل الجمع والتفريق وكتاب الارثماطيقى(٢) وكتاب اقليدس(٣) في أصول الهندسة ، (والزيج)(٤) وكتاب الاربع(٥)لبطليموس • فان هذه الكتب كفاية • فأما التعمق في كل واحد منها مثل قراءة كتب المخروطات وفهمه ، وكتاب المجسطى(٦)وفهمه

* يقصد بتأليف الادوية المفردة ، تركيب بعضها مع بعضها

وتولى الارصاد ومزاولتها ، فان ذلك من الطول والصعوبة ما يعوق عن تعلم صناعة الطب ٠

ومن ذلك صناعة المنطق ، فان المتعلم اليها مضطر ان كان يؤثر الكمال في صناعته ، لان بها يثبت الحق من الباطل والخير من الشر ، ويستنبط ويستخرج كلما يحتاج الى معرفته ٠ ولذلك ينبغى ان تمعن في صناعة المنطق قليلا ٠ وكذلك الحال في العلم الطبيعى ، فانه لا يسعه جهل معرفة الكون والفساد والاستحالة ، والقوى ، والافعال ، والمنافع ، ووجه الحكم في كل واحد منها ٠ فان الطبيب ينبغى ايضا ان يكون قد جمع محاسن الاخلاق ، وهو باب يحتاج فيه الى الجزء العملى من الفلسفة ٠ واذا كان الامر على ما وصفنا فالامر على ما قال جالينوس ان الطبيب الفاضل فيلسوف كامل(٦) ٠

ثم ان الطبيب مضطر الى معرفة قوى الاغذية والادوية ، وسائر المواد التى تحفظ بها الصحة وتشفى المرض ، وليس يكفيه معرفة قواها المفردة فقط ، لكنه مضطر الى ان يكون مجيدا في تأليف بعضها مع بعض ٠ فلذلك يحتاج الى معرفة صناعة الطبيخ ليوقف لكل مريض غذاء موافقا في مرضه ، ويأمر باتخاذه ٠ ويحتاج الى معرفة الادوية كى لا *يؤتى منها بغير الذى التمسه ٠ ولست اقول انه ينبغى ان يكون طباخا ، ولالقاطا للادوية ، ولا صيدلانيا ، ولكنى اقول : انه لا يسعه جهل ما يحتاج اليه في هذه الابواب اصحاب صناعة الطبيخ ولقاطى الادوية ، والصيادلة (الات**) له ٠

وكذلك ايضا حاجته الى الشق والبط والقطع والكى والفصد وساير ما اشبه ذلك ٠ فان هذه المهن كلها الات للطبيب ٠ والاحسن بالطبيب ان يكون عارفا بهذه

---

* ليس لكلمة (لا) وجود في المخطوطة ، ووضعها يقتضيه المعنى والسياق

** في المخطوطة : ايات

الاشياء معرفة بالغة ، فان اضطر في حال الى تناولها بنفسه فعل · ذلك انه قد تفاجيء امراض لا تمهل الطبيب الى ان يحضر ما يحتاج اليه من أهل هذه ، فيضطر هو الى ان يتنـاولها فيكون من حيث أمر بها طبيبا ، ومن حيث تناولها الة ، وليس هـذا يمتنع فان اشياء كثيرة هى من وجه اخر شيء اخر · وذلك ان الطبيب من حيث هو طبيب بمنزلة الملك العظيم المقيم في وسط مملكته يصرف الولات في اعماله لينوب كل واحد منهم فى العمل الذى اولاه عنه ، ويتصرف فيه حسب ما امره الملك · وكذلك الطبيب يأمر كل واحد منهم من اصحاب المهن بما سمح به المرض · ولقد أمر ابقراط وجالينوس ان يكون من يدبر ، سامعا مطيعا للطبيب كما يستمع العبد من مولاه وأهل المملكة من ملكهم · فان لم يكن تدبر صناعة الطب على هذه ، فينبغى للطبيب ان لا يتعرض ما امكنه ذلك ·

ومن البين ان اجتماع ما ذكرنا في انسان واحد عسر ، فلذلك يكون وجود الطبيب نادرا في كل مدينة ، وفي كل زمان · وبقدر نقصان الطبيب فيما ذكرنا يكون انحطاطه عن الكمال [و] يكون انحطاطه في صناعته · ولهذه الاسباب كلها صار يتسمى بالطب الفصـادون ، والكحالون ، والبطاطون* ، والحقـانون ، وكثير من الصيادلة ، ولقاط الادوية** . وقوم كثير لما اجتمع فيهم بعض هذه المهن اعجبوا بانفسهم وظنوا أنهم اطباء فضلاء ، فوثبوا الى تأليف الكتب ·

ومن القبح الشنيع ان يتعاطى رجل وضع كتاب قد سبق اليه واستقصى من قبله ما صنعه · واشنع من هذا واقبحه ان يكون المتأخر مقصرا فيما وضعه الاول ، وان اتفق ان يكون المتأخر غالطا ايضا أو مخطيا فيما وضعه ، فتلك غاية الشناعة والقبح · ونحن نجد كثيرا من واضعى الكتب بعد جالينوس على هذه الحال كمـا

* البطاطون : هم الذين يمارسون شق الخراج وما على مستواها من العمليات ·
** لقاط الادوية : هم الذين يجمعون الاعشاب الطبية من البرارى ·

سنبين ذلك فيما يستأنف، والاسباب الداعية لها ولاكثيرة منها حسب النباهة وبعد الذكر ، ومنها نباهة الصيت (٠٠٠٠٠٠) ليكسبوا بها مالا ، أو يخدعوا بعض ذوى الاموال كالذى فعله الرازى وغيره ، في الخطب التى صدروا بها كثيرا من كتبهم . فانهم يقولون فيها : انا نضع لك كتابا ليبقى لك ذكرك ، وليكون لك نافعا ، وانما هذا من الخدع العجيبة • وكثير ايضا من الناس يجهل انه جاهل فيتوهم انه فاضل . وهو في غاية البعد من الفضيلة • وذلك انى شاهدت من هذا الضرب خلقا كثيرا . بهم من العجب والحمق والصلف ما تعظم صفته • وكنت كثيرا ما اتعجب منهم واضحك • ولقد رأيت منهم رجلا يؤثر أن يدعى طبيبا فاضلا ، ويأمر الناس ، فاذا عارضه أحد ولم يسمع أمره تمرمر واختلط ، وكان مع هذا الحال بعيدا جدا عن فهم صناعة الطب ، أو فهم جزء منها صغير فضلا عما سواه • وهذا الضرب من الناس كثير ، والرجل الفاضل قليل جدا • ولذلك قال بعض القدماء : ان مخاطبة رجل واحد منهم مقام خطاب عشرة آلاف رجل • ولذلك اترك ذكرها ، ولأتم هذا الباب فأقول :

ينبغى لمن اراد ان يضع كتابا في صناعة الطب ان يتقدم أولا فيتأدب ويرتاض بما ذكرنا من الآداب والعلوم ، ثم يفهم كتب ابقراط وجالينوس على الاستقصاء فيصير طبيبا فاضلا كاملا ، ثم ينظر فان وجد طريقا في هذه الصناعة نافعة للناس وضع للناس منها ما يضعه ، فانه يسلم بما ذكرناه من الاغاليط والزلل ، لاسيما اذا كان يفسر اقاويله ، ويزن معانيه بقول من صناعة المنطق • وهذا بات يعرفه كل من وضع كتابا في صناعة الطب بعد جالينوس • ولذلك كثرت اغاليطهم ، ولم يسلم واحد منهم من الخطأ والزلل ، ولاسيما المحدثين منهم ، فانهم كانوا أبعد عن الصواب . واكثر خطأ وزللا • ونكتفى في تصحيح ما ذكرناه ان نحضرك أقاويل أشهر هؤلاء عند الناس في صناعة الطب ، ومن الظن به انه قد استكمل هذه الصناعة كحنين ومحمد الرازى • وانا نضرب باقاويلهما امثلة يفهم بها الحال في غيرهما من مصنفى الكتب* . فاسمع ذلك واصغ اليه ببالك •

* في المخطوطة : الكتاب



الهوامش

(١) عناوين الكتب التراثية في الطب العربى ، ومتونها ايضا تدل على مكنة مؤلفيها في ضبط اللغة وحسن استعمال مفرداتها ٠ ولابن مندويه الاصفهانى رسالة في الرد على من انكر حاجة الطبيب الى علم اللغة (ابن ابى اصيبعة ص ٤٦٠) وهذا ما لا يتفق ورأى ابن رضوان في هذا الموضوع ٠

(٢) كتاب الارتماطيقى ـ في الاعداد والجبر والمقابلة وهو من مؤلفات احمد بن الطيب السرخسى (ابن النديم ـ طهران ٣٢١) ٠

(٣) كتاب اقليدس ـ ويعنى به كتاب الاصول في الهندسة لاقليدس ٠ وهذا المؤلف صورى الاصل وكان يعمل في النجارة في أيام اليونانيين بتلك الديار (ابن التفطى ص ٦٢) ٠

(٤) الزيج ـ جداول يستعملها الفلكيون في المرصد ، كما يستعملها المنجمون لضبط الطوالع وما الى ذلك ٠ وقد اورد المؤلف هذا اللفظ دون ان يتكلم عنه ٠ ويبدو من السياق انه اراد ان ينسبه الى شىء ما أو الى شخص ما فانقطع وقد يكون سقط اثناء النسخ ٠

(٥) ك٠ الاربع لبطليموس ـ ويعرف باسم المربعة أو كتاب الاربع مقالات لبطليموس، وهو في صناعة احكام النجوم ٠ (ابن النديم ص ٢٧٣ ، ابن القفطى ص ٢٤٢) ٠ وقد ترجم أبو يحيى البطريق هذا الكتاب الى العربية في عهد الخليفة المنصور (نللينو ـ علم الفلك ص ١٤٦) ٠

(٦) ك٠ المجسطى ـ لبطليموس القلوذى ٠ وهو في الفلك وحركات النجوم وكيفية ارصادها ٠ ترجم الى العربية في ايام هارون الرشيد (ابن القفطى ص ٩٦ ـ ٩٧ ، ٦٨ ـ ٦٩) ٠



الباب الثاني

في أن حنينا يغلط ويخطى في مصنفاته أغاليط ضارة في صناعة الطب ·

وحنين رجل قد نظر في كتب ابقراط وجالينوس وكثير من كتب الفلاسفة ، ووضع لكثير من كتبهم جوامع على طريق المسئلة والجواب وغير ذلك · وترجم كثيرا من الكتب ترجمة حسنة [فلقدمه* ما ذكرناه] من تلك الاداب والعلوم عرض له ان يزل ويخطى في مصنفاته ، فمن ذلك كتابه الذى سماه المدخل الى صناعة الطب . فان هذا الكتاب الناس به مغتبطون ، وله مادحون في شرق الارض وغربها ، وساير اقطارها من نحو مايتى سنة الى يومنا هذا · ولم يشعر أحد قبلنا بالزلل والخطأ الذى فيه ، بل رام كثير من الناس تفسير هذا الكتاب وتلخيصه(١) ، فاتبعوه على غلطه · وكان العار عليهم اكثر ، أعظم ، لو خطأ حنين فيه ، ما هو قلة معرفة بالآداب والعلوم ، وذلك أمر ضار جدا في صناعة الطب ، [فمن ذلك] قوله بهذه الألفاظ : (كم هى اصناف المرة الصفراء ؟* خمسة ، وما هى ؟ منها الاحمر الناصع، وهذا الصنف منها هو الطبيعى الاصلى وتولده يكون في الكبد ، ومنها ما هو أصفر وتولده يكون في مخالطة المائية للمرار الاحمر الناصع ، ولذلك صار هذا الصنف أقل سخونة من غيره · ومنها ما يشبه صفرة مح البيض ، وتولده يكون من مخالطة الرطوبة الغليظة البلغمية للمرار الاحمر الناصع · ولذلك صار هذا الصنف ايضا أقل سخونة مما مضى من اصنافها · ومنها ما لونه شبيه بلون الكراث(٢) · وتولد هذا الصنف اكثر ما يكون في المعدة · ومنها ما يشبه الزنجار(٣) وسم الافاعى ، وتولده يكون من شدة الاحتراق ، ولذلك صار هذا الصنف مفرط الحرارة واليبس)(٤) · ويكون علاج كل واحد منها بحسب هذا الصنف · وبقى منها

---

* قد تكون هذه العبارة مصفحة عن : بما ذكرناه ·

* رمز الاستفهام هذا وما الى ذلكمن وضعنا وليس له وجود فيالمخطوطة ·

الصنف الذى منه تغتذى (منه)* الرية ، وما اشبهها من الاعضاء • فان ابقراط وجالينوس بينا ان الرئة تغتذى من خلط الصفراء دون الدم • وهذا الصنف بحسب ما أوضحه جالينوس ، حلو الطعم ، غير أنه سريع الاستحالة الى المرار • وهو يجرى مجرى العسل الذى قد صار بالطبخ** في افق المرار أعنى انه لم تبق له الى ان يصير مرا غير طبيخ . فهذان صنفان من المرة الصفراء ما عرفهما حنين . أو لعله كان يعرفهما فنسيهما عند تاليف الكتاب • ويدل على انه ماكان يعرفهما ظنه انه الطبيعي الاصلى من خلط الصفراء هو الاحمر الناصع ، وهذا غلط قبيح وضار في اعمال الطب • وذلك ان الطبيعي الاصلى من الصفراء هو على ما بين جالينوس يجرى من الدم مجرى الرغوة التى تطفو فوق الشراب في حال غليانه ، اعنى انه الشيء الذى قد بلغ بما في اللطافة من الدم الى ان صار شبيها بالنار ، وهذا هو الصنف الذى ذكرنا ان الرئة تغتذى منه • ولون هذا الصنف أصفر على لون الذهب السبيك ، وطعمه حلو ، وباقى اصنافه مرة الطعم • لذلك اخطأ*** حيث لم يميز طعم اصنافها ، واخطأ في توهمه ان الصنف الطبيعى الاصلى احمر ناصع ، فان هذا اللون يشبه ما عتق لونه من شعر الزعفران (ه) ؛ وهذا الصنف ليس بطبيعى اذا طبخ بالنار ، لكثرة استحالة الطبيعى من الطعم الحلو الى الطعم المر • فانه اذا زادت الحرارة عليه صار مرا كما يعرض للعسل*** وصار لونه الذهبي احمر ناصعا على لون شعر الزعفران •

ثم ان حنينا أخطأ ايضا في قوله : ومنها ما هو أصفر ، وتولده يكون من مخالطة الرطوبة المائية للمرار الاحمر الناصع ، من وجهين***** ، احدهما ان الاصفر

* تبدو هذه الكلمة مكررة الى جانب التى تقدمتها •

** في المخطوطة : الطبيخ •

*** يقصد اخطأ حنين •

**** في المخطوطة العسل •

***** هذا كلام ابن رضوان اى ان حنينا اخطأ من وجهين •

.. ضربان : الطبيعي على ما ذكرنا ، وهو معتدل القوام ، من اصنافها حلو الطعم ، ..في حلاوته حرافة ، على ما يوجد عليه بعض اصناف العسل الجيد .

والضرب الاخر : الاصفر الرقيق ، وهذا ليس يكون من مخالطة الرطوبة المائية [لا] أي رطوبة مائية اتفقت ، لكن مخالطة المائية التي نضجت الدم فقط . ..هي الرطوبة التي منها يكون البول . وبين انه كثيرا ما تكون الرطوبة قد استحالت ..صارت اكثر حرارة فيكون هذا الصنف من المرار اكثر حرارة من الصنف الطبيعي لا اقل حرارة ولا اشد حرارة منه الاحمر الناصع . وقد وضح* حنين انه أقل سخونة من غيره ، وهذا ضار في صناعة الطب جدا ، من قبل ان المداواة يجب ان تكون متساوية للمرض ، فان كان أقل سخونة فعالجه بما هو أقل بردا ، وان كان اشد حرارة بما هو أشد بردا . وصدق حنين في قوله انه يتولد من المرار الاحمر الناصع اذا خالطته رطوبة مائية ، غير انه لم يوضح لنا هذه الرطوبة المائية ما هي؟ هل هي مائية الدم أو صديدا ، أو بلغما رقيقا أو غير ذلك . لكن قوله انه أقل سخونة من غيرها يوهمنا ان الرطوبة المخالطة له باردة المزاج ، وهذه هي الرطوبة البلغمية . ولذلك يكون قوله خطأ وغلطا ضارا** في صناعة الطب ، من قبل ان المرار الاصفر اللون الرقيق يتولد من مخالطة مائية الدم وصديده الاحمر الناصع .

وأعظم ما خطأ فيه حنين في هذا الكلام وأقبحه ، وأشده أضرارا بصناعة الطب قوله : ومنها ما يشبه صفرة البيض وتولده يكون من مخالطة الرطوبة الغليظة البلغمية للمرار الاحمر الناصع . ولذلك صار هذا الصنف أقل سخونة من غيره(٦) . فان هذا القول في غاية المباينة لما أوضحه ابقراط وجالينوس . وذلك انهما بينا ان الصنف الشبيه بصفرة البيض يتولد من غلبة الحرارة واستيلائها على المرار الاصفر ، وتنشيطها رطوبته فيغلظ ويصير في قوام البيض وفي لونه كما يغلظ

* في المخطوطة : وضع انه ...

** في المخطوطة : ضار ...

العسل بالطبخ . وهذا بعض ما قاله حنين في كتابه المدخل . والمفهوم بحسب قانون المداواة ، ان علاج هذا الصنف على رأية هو بما ييسر البرد من الادوية ، على رأى ابقراط وجالينوس بما هو شديد البرد جدا ، فهذه اغاليط ضارة في صناعة الطب في كلامه الذى وضعناه بالفاظه . أما اغاليطه غير الضارة في صناعة الطب فهى قوله (وما هو السؤال* عن جوهر المسؤول عنه ، وليس يكون الجواب عن الجوهر باللون بحسب ما سنن في صناعة المنطق ، يكون اما بالحد واما بالرسم ، أو رسم ينوب مناب الحد،وما فعل ذلك) ولا ادرى أقسم بالله مادعاه الى هذه الاغاليط كلها فيما قدره . وقد وضع فيها جميعه** من كتب جالينوس خلاف بما وضعهنا . ونقل من كتب جالينس من ما يصحح اغاليطه واضراره باعمال الطب . فمن ذلك قوله (كم هى اصناف المرة (الصفراء اثنان ، وما هي ؟ طبيعى وخارج عن الطبع ، وهو المرة الصفراء . ثم يقول كم هى اصناف المرة الصفراء ؟) **

وايضا ما نقله (يشير الى حنين) من المقالـة الثانيـة من كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . فان جالينوس يقول بهذا اللفظ : أحضر لى ببالك عصير عنب اعتصر من قريب ، يغلى ويستحيل من الحرارة التى فيه ، وانه يحدث له في استحالته تلك فضلين احدهما أخف ، وأخف من طبيعة الهواء والاخر اثقل واقرب من طبيعة الارض . فالاول منها يسمى زبديا والاخر درديا . فانك ان شبهت الاول بالمرة

---

* في المخطوطه : سؤل

** في المخطوطه : جمعه

*** ما بين القوسين ليس له وجود في اصل كتاب المسائل لحنين . وفي الاصل يسأل حنين عن اصناف المرة السوداء لا المرة الصفراء فيقول : كم هى اصناف المرة السوداء ؟ صنفان وما هما ؟ منها طبيعي أصلى وهو بمنزلة عكر الدم وثقله ويعرف بالخلط الصفراوى .

الصفراء والثانية بالمرة السوداء لم تخطى في ذلك وليس صورة هذين الخلطين اذا كان امر البدن يجرى على الامر الطبيعي صورةواحدة بعينها · كما قد نجد ذلك يعرض كثيرا اذا كان أمره خارجا عن الطبع · وذلك ان المرة الصفراء تكون شبيهة بمح البيض وتسمى بهذا الاسم ، لانها تكون* حينئذ شبيهه** في اللون والغلظ· واما السوداء فتعسر ايضا وتصير اردأ من المنبعثة من الطبيعة. في هذا لكلام دلالة على ان هذا الصنف المجنى من المرة الصفراء سوء فساد خلط الصفراء الطبيعي واستحالته في اللون والقوام ، لانه يصير فيها على خلاف ما كان عليه في الطبع · وجالينوس يلخص ذلك بعد قليل فيقول بهذا اللفظ : واما الشيء الذى يحترق من الغذاء ، أو من (······) أو من متوقد ، وهو ما كان منه شديد*** الحرارة جدا ، شديد الحلاوة بمنزلة العسل والشحم ، فيصير مرارا أصفر ومعه من الدم الآلات التى تعرف بالقابلة للمرار · وهذا الشيء لطيف رطب ، سيال لا محترق بمنزلة ما قد احترق في الغاية حتى صار احمر ناريا غليظا بمنزلة مح البيض · وذلك ان الخلط صار لامحالة رطوبة· فانه اذا زادت الحرارة العرضية النارية على هذا الصنف ، أحرقته وصيرته مرارا أسود ·

وما حاجتى في التطويل ، وانت تقف عليه اذا قرأت اخر المقالة الثانية من كتاب القوى الطبيعية وجوامعها وتفسيرها للقدماء ، وجوامع حنين تفسير لها(٧) · فانه ينص على ان الحق ببعض ما وصفه بكتابه الذى سماه المدخل · وليت شعرى كيف لم يشر في قوله ان الاصفر يكون من مخالطة الرطوبة المائية ، واى رطوبة مائية هى ؟ وهو يجد جالينوس يقول بهذا اللفظ في هذه المقالة: وقد تخلف المرار بان منه صنفا لا يخالطه شيء اخر ، بعد قليل فيقول بهذا اللفظ (······) واما الشيء الذى يحترق من الغذاء أو يتوقد **** وهو ما كان منه شديد

---

* في المخطوطة : لانه يكون

** في المخطوطة ـ شبيهة

*** في المخطوطة : شديدة

**** في المخطوطة : متوقد

الحلاوة جدا . شديد الحلاوة بمنزلة العسل والشحم فيصير مرارا اصفر، ومعه من الدم، الالات التى تعرف بالقابلة للمرار . وهذا الشىء لطيف رطب سيال لا محترق، بمنزلة ما قد احترق عن الطبع) . واما الذى ذكرناه قبلـــة فطبيعى، والذى ذكره قبله هو الذى وضعه بهذه الصفة ماكان منه شديد الحرارة شديد الحلاوة بمنزلة العسل والشحم . وهذا واضح فيه ان الخلط الصفراوى الطبيعى شديد الحلاوة شديد الحرارة على ما ذكرنا ، وانه يجرى من الغذاء وهـو الدم مجرى زبد البحر أو الشراب اذا غلى على النار بالحرارة التى تنشو فيه . فقد انضح لك المحى من الحرارة الصفراء ، ويتولد من احتراق الخلط الطبيعى منهـا في الغاية . وحنين يضــع انه يتــولد من مخالطة الرطوبة الغليظة ، وهذا بعض ما برهنه جالينوس . ثم ان جالينوس يقول بعد قليل بهذا اللفظ في تولد اصناف المرار الأسود :

وكثيرا ما يستحيل الى هذا النوع من المرة السوداء الذى قد بلغ هذا المبلغ من الاحتراق والتوقد المرار الشبيه بمح البيض اذا عرض في وقت من الاوقات ان يحترق هذا المرار ويشتوى من الحرارة النارية (....) مفهوم من هذا الكلام الكلام لأن المرار الصفراوى واحتراقها اياه وتنشيفها في الغاية حتى صار أحمر ناريا غليظا خارجا بمنزلة مح البيض . وذلك ان هذا الخلط قد صار لا محالة خارجا عن الطبع . واما الذى ذكرناه قبله فطبيعي والذى ذكرناه قبله هو الذى وضفه بهذه الصفة ما كان منه شديد الحرارة شديد الحلاوة بمنزلة العسل والشحم . وهذا واضح فيه ان الخلط الصفراوى الطبيعى شديد الحلاوة شديد الحرارة على ماذكرناه، وانه يجرى من الغذاء الذى هو الدم مجرى زبد البحر أو الشراب اذا غلى على النار بالحرارة التى تنشــد فيه . فقد اتضح لك المحى من المرة الصفراء يتولد من احتراق الخلط الطبيعى منها في الغاية . وحنين يضــع انه يتولد من مخالطة الرطوبة الغليظة . وهذا بعض ما برهنه جالينوس . ثم جالينوس يقول بعد قليل بهذا اللفظ في تولد اصناف المرار الاسود :

وكثيرا ما يستحيل الى هذا النوع من المرة السوداء الذي [illegible] المبالغ بالاحتراق والنوقد، المرار الشبيه بمح البيض اذا عرض في وقت من الاوقات ان يحترق هذا المرار ويشتوى من الحرارة النارية (.........) ومنه ما قد ترطب بسبب اختلاط المائية • فلم يقل جالينوس الرطوبة فقط لكن قال بسبب اختلاط المائية • واعجب من هذا كله ان جالينوس يصرح بما برهنه في كتبه من اصناف المرة الصفراء الخالصة في مقالته في المرة السوداء فيقول بهذا اللفظ : وفي البدن كيموس اخر يظهر في القيء منه أبدا مرار ولونه أصفر اللون الا انه ليس يكون مشبع الصفرة • وقد استدل الحذاق بامور الكيموسات* من اختلاف الكيموس على انه انما يصير غير مشبع الصفرة بمخالطة الرطوبة الرقيقة • ومن هذه الرطوبة يكون البول والعرق • وكما انه اذا خالطت هذه الرطوبة الرقيقة المرة الصفراء تكون غير مشبعة الصفرة ، رقيقة كذلك اذا طبخت الحرارة المرة الصفراء واحالتها كثيرا من الاجزاء الرقيقة صارت مشبعة الصفرة شبيهة بلون صفرة البيض ، وقوامها ولونها ينسب اليها : محية • وهذه المرة كانت مشبعة (مشبعة) ** الصفرة ، فانها تتولد في العروق والشريانات ، وقد تتولد في البطن احيانا مرة خضراء شبيهة بخضرة الكراث وتسمى الكراثية اللون كما تسمى المرة الخضراء التي خضرتها ورقتها تشبه خضرة الزنجار : الزنجارية • وتسمى المرة وتنسب لونها الى الضرب الذي الى الرقة ما هو من النيلج(٨) : النيلجية اللون • وهذه الاصناف التي ذكرنا من المرة لها شيء يعمها ، وهو انها لا تجمد كذلك ايضا يسمى الكيموس*** الاخر الشبيه بالدم الرقيق : مرة حمراء لانه لا يجمد •

---

* في المخطوطة : كيماسات

** أضفنا هذه الكلمة لاقتضاء السياق ولم يكن لها وجود في المخطوطة

*** الكيموس : مادة الطعام في المعدة قبل ان تتحول الى خلط

قال المؤلف : هذا كلام جالينوس ، وقد عرف فيه سبعة اصناف لخلط الصفراء • وان المرة الحمراء الناصعة ليس هى الطبيعية ، وان الطبيعية هى [illegible] ، وان المحية تحدث من غلبة الحرارة وطبخها للمرار (الاحد •••••) لرطوبتها وغير ذلك مما اذا وقفت عليه علمت مبلغ خطأ حنين في المدخل* ومبلغ (••••) اضراره بالمتعلمين • فان هؤلاء اذا حصل في اذهانهم ما وصفه حنين من الاصول ، بنوا عليها ما صادفوه من الامراض الصفراوية ، فيضاعف الغلط ويكثر الزلل في اعمال الطب ، ولا ينجح العلاج •

وفي كلام حنين في المدخل مواضع اخر اخطأ فيها نظير هذا الخطأ • وكذلك في زيادات حبيش ، والفضيحة على حبيش اعظم لانه ما اصلح اغاليط حنين ، بل ظن انه كلما وضعه حنين حق وصدق • وانه ينبغى ان يضاف اليه تلك الزيادات• فلو ان حبيشا شعر باغاليط حنين لاصلحها وتمم الكتاب ، لا كتب ما عرف منها وزاد زيادات اخطأ في كثير منها • وليس بنا حاجة في هذا الى تعديد ما اخطأ فيه حنين ، لان غرضنا انما هو التنبيه على انه ينبغى ان يلتفت اليها فى صناعة الطب • وان الذى ينتفع به فى هذه الصناعة هى كتب ابقراط وجالينوس ، وما سواها فمعلطة وصارفة عن تعليم صناعة الطب •

ولو قصدنا الى تعديد ما اخطأ فيه حنين فى بدأ الكتاب للزمنا ان نعدد ما اخطأ فى غيره من كتبه ، مثل كتابه فى الاغذية(٩) • فانه يحكى عن جالينوس وغيره من القدماء ، حكايات كثيرة فيها الكذب الظاهر فى صناعة الطب ، مثل قوله ان لحم الماعز اسخن من لحم الضان [فانه نسب ذلك] الى جالينوس • ولما نقل كتاب جالينوس فى الاغذية ذكر الحق من رأى جالينوس ، وهو ان لحم الماعز أبرد من لحم الضان فاذا كان حنين قد ظهر في كتب جالينوس وابقراط وغيرهما ، ونقلها من لغة الى لغة ، وجمع كثيرا منها يغلط ويخطى مثل هذه الاغاليط والخطأ ، فما

---

* يقصد كتاب المدخل •

ظنك بمن هو أقل أدبا منه ، واقل ارتياضا في العلوم والاداب مثل على بن العباس المجوسى ، فانه وضع كتابا سماه كامل الصناعة الطبية [ولغيره من واضعى الكتب] أما انا فلما قـرأت كتاب على بن العباس المجوسى وجـدت فيه من الخطـأ والغلط ما لا يتهيأ احصاؤه كثرة [فليس تولى] هذا قولا ارى انه لا ينبغى لاحد ان يضع كتابا في هذه الصناعة بعد جالينوس · لكنى ارى من اراد وضع كتاب فيها فسبيله ان يتقدم اولا فيرتاض بالاداب والعلوم التى ذكرتها ، ثم يفهم ما وضع لابقراط وجالينوس ، ومزاولة اعمال هذه الصناعة سنين كثيرة ، حتى اذا حكم الصناعة ساغ له ان يصـنع كتابا يثبت فيه تذاكيره بجعله عبـرة للشيخوخة · وذلك ان جالينوس يقول في المقالة الاولى من المقالتين اللتين وضعهما في جمل حيلة البرء ، انمنفعة الاقاويلالمختصرة لمن قدارتاضمنالتذاكير ، الاجودانيكون بعدالتعليم الكامل التامبعمل الانسان الاقاويل المختصرة بتذكرتها ما في التعليم التام · وبين جالينوس قبل هذا القول ان ينبغى لمن اراد ان يقرأ كتابا ويتعلم صناعة ان يتقدم فيرتاض بما تنتفع به في فهـم ذلك ، ويعد كلاما يحتاج اليه فيه · وهذه خـلاف ما عليه الناس اليوم لانهم لا يعلمون على ترتيب ولا يتقدمون فيرتاضون في الاداب والعلوم التى بها يمكن فهم صناعة الطب ، على انهم مع ذلك يهجمون على وضع كتب فيها بالجهل منهم وسوء الادب ، فيخلفون انواعا من الخطأ لا احصاء لها وهم لا يشعرون ·

الهوامش

(١) شرح كتاب المسائل كل من ابى الفرج بن الطيب المتوفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣
(ابن ابى أصيبعة ص ٣٢٥) ومعاصره ابن سينا ، وابى القاسم ابن ابى صادق النيابورى المتوفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م (ابن ابى أصيبعة ص ٤٦١) وابى الفرج يحيى بن سعيد الانطاكى المتوفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٤م ، وابن النفيس القرشى المتوفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م Brockelmann 1/493
ونجم الدين المنفاخ المتوفي سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤ م

ولخص كتاب المسائل كل من ابى سهل بن عبد العزيز النيلى المتوفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م والمخطوطة في لاله لى ٣٧٧٤ ، واياصوفيا ٤٨٥٧ ، ودار الكتب المصرية طب ١٢٠٦/٤ ، وطهران – مجلس ٦١٥ . كما لخصه فخر الدين ابى اسحاق ابراهيم النيريزى (ايا صوفيا ٣٥٥٥/٤ ، وعطار باشى (الموصل) رقم ٤ .

(٥) الكراث – عشبة جبلية وبستانية . تقيد حالات الجذام وتؤكل لنكهتها (ابن البيطار ٤/٦٤) .

(٣) الزنجار – هو صدأ النحاس وطبيخه بالعسل مفيد لقرحة المعدة والبواسير الجاسية (الغسانى ص ٢٨) .

(٤) كتاب المسائل في الطب لجالينوس ص ٧ – ٨ ، والقوسان اللذان يضمان المتن من وضعنا .

(٥) الزعفران – نبتة مفيدة للمعدة ورطوبة العين ، واضطرابات القلب ، وسدد الكبد (ابن البيطار ٢/١٦٢) .

(٦) ك المسائل حنين ص ٧ – ٨ .

(٧) لم نقف على كتاب باسم جوامع تفسير كتاب القوى الطبيعية لحنين .

(٨) النيلج ـ شجرة تكنى بالعظم ، وتسمى عصارتها النيلج وهى الصبغ المعروف باسم النيل . وهى مفيدة للقروح والجروح ، كما تفيد ضمادا للخنازير (ابن البيطار ١٨٦/٤ ، ابن هبل ١٣٧/٢) .

(٩) ك. الاغذية لحنين ـ لحنين كتاب باسم في طبائع الاغذية وتدبير الابدان (ابن ابى أصيبعة ص ٢٧٣) وقد يكون نفس الكتاب المذكور .

الباب الثالث

في ان محمد الرازى يظن انه قد فهم كتب جالينوس وليس ما ظنه من ذلك بصحيح.

وقد كان محمد بن زكريا الرازى شديد الحرص بطيء الفهم . تشهد بذلك كتبه التى وضعها خاصة كتاب الحاوى لانه يدل على شدة حرصه ومداومته* للدرس ، وكثرة ما قرأ من الكتب في هذه الصناعة ، وزاول من اعمالها ، لكنه لم يتقدم في هذه الصناعة . وزاول من اعمالها لكنه لم يتقدم فيرتاض ، وظن بفضل ذكائه وشدة حرصه انه قد ادرك الاداب والعلوم النافعة فيها . وهذا ظن يعرض دائما لكثرة الاذكياء فان الواحد منهم بعد الواحد ، اذا حصلت له القوة في بعض العلوم والصنائع ، لم يخضع ويتواضع لاهل علم اخر وصناعة أخرى ، لكنه يظن انه بقوة ذكائه لا يحتاج الى تعلمها** . واذا فهم منها القدر اليسير ظن انه قد فهم جميع ما تضمنته تلك الصناعة ، وانه ليس بعده بعد ، فيصير كل ما يخطر بفهمه مما يظنه أنه منهـا بنسبته اليها . وبما قـدم على تغليط المصيبين فيها بالظن منه . والاقدام بالجهل . وقد رأينا هذا كثيرا ما يعرض لاكثر الاطباء . وهذه خدعة عجيبة ينبغى لمن اراد السلامة ان يتحرز منها ، ولا يتكلم في شيء من العلوم والصنائع حتى يحكمه ، ويعتبر ما أحكمه بصناعة المنطق . وبسبب هذه الخدعة ظن الرازى انه قد عرف شيئا من المنطق ، وشيئا من علم النجوم وغير ذلك . فوضع فيها كتبا دلت انه ما عرف قط معرفة صحيحة، لا صناعة المنطق ولا علم النجوم ولا العلم الطبيعى. ووضع في صناعة الطب كتبا كثيرة جدا ، صغارا وكبارا . وعمل شكوكا(١) ظن ان جالينوس اخطأ فيها . وقد ابطلنا من شكوكه(٢) فيها وبينا انه في غاية البعد عن فهم ما ذهب اليه جالينوس ، وانه انما تشكك فيها بتصوره بسوء الفهم فقط . والذى يكتفى منه به في هذا الموضع بان يبين ويرشد فقط ، الى انه كان لم يتصور اغراض جالينوس في كلامه التصور التام [المستقصى] . وهذا يظهر واضحا اذا وضعنا الفاظ

---

* في المخطوطة : وهنا ومته

** في المخطوطة : تعلمنا

الرازى التى زعم فيها انه يحصل معانى كلام جالينوس • فمن ذلك كتاب سماه محصل معانى حيلة البرء لجالينوس[٣] قال فيه مخاطبا لبعض الرؤساء : ان قصدى بوضعه ابقاء ذكرك ــ ليخدعه بهذا القول • وهذا بعيد عن مذاهب القدماء في وضع الكتب[٤] • فان القدماء يرون في بقاء الذكر لا يفيد الموتى شيئا البته ، وانما يفيد الاحياء بان تسكن نفوسهم الى اقاويل المشهورين بالفضيلة من (••••••••••) ولما كان المؤلف أنشط ما يكون واقل مللا في اول كتابه ، رأينا ان نضع من كلام الرازى ما زعم انه حصل فيه معانى المقالة الاولى من حيلة البرء وسطرها [لاصحابه فتعلم] انه يتصور مذاهب الرجل ، أو اخطأ فسيتولى بخطابه ، على انه اذا كان في اول هذا الكتاب وفيما هذا قدره • وقد أخطأ وزل عن مذاهب الرجل ، وهو فيما قد كل فيه نشاطه ، وكثر فيه ملله اكثر خطأ • فانه اذا كان كذلك فليس ينبغى ان يركن الى كلامه ولا يوثق به • وقبل ان نضع كلامه ، نرسم ما زعم جالينوس فنقول :

ان جالينوس قد جمع في مقالتين اغراضه في حيلة البرء ، فقال بهذا اللفظ: جمل المقالة الاولى من حيلة البرء ست جمل ، الجملة الاولى في مناقضة ثاسلس فيما ناقضه فيه ابقراط والاطباء القدماء الآخرين •

قال المؤلف : (ابن رضوان)* لما اراد جالينوس وضع كتاب حيلة البرء والثانى لشفاء الامراض[٥] على رأى ابقراط الذى هو رأى حق وصواب ، وكان قسم من الاطباء يسمون انفسهم وفرقهم كلها بهذا الاسم ، اعنى اصحاب الحيلة ، لزمه ان ينظر اولا هل أصاب قولا أم أخطأ • ووضع على طريق المثال رأس الفرقة المصيبة وهو ابقراط ، ورأس الفرقة المخطية وهو ثاسلس • وعرف ان ثاسلس في اهل فرقته كلهم يجعلون الحيلة في الامور العامية التى تجرى مجرى الاجناس الاول من اجناس الامراض ، وان ابقراط وفرقته كلهم يجعلون الحيلة في الانواع الاخيرة من الامراض ، فان هذا هو التى ينتفع به في حيلة البرء ، لانا اذا قلنا هذه حمى يوم كان أبين من قولنا حمى يوم مطبق[٦] • واذا قلنا حمى يوم من (••••••) كان على الاستقصاء •

---

* هذه العبارة زيادة من عندنا لتوضح الاشارة الى المؤلف •

والحقيقة انما ينبغى ان توضع في انواع الامراض الاخيرة · واصحاب الحيل لا يرون هـذا بل يقتصرون على الاجنـاس العليا(٧) · فرأى جالينوس ابطال مذهبهم حتى لا يغلط فيه أحد ليسلم [الى] مذهب ابقراط متخلصا من ساير ما يفسد صناعته · وأقتصر على ثاسلس لانه ان ظهر وتبين انه في غاية البعد من الصواب ـ وهو رأس فرقة عظيمة واكثرهم مغالطة ، ثبت بذلك وظهر رأى ابقراط من غير شـبهة ولا تدليس ، فهذه جملة عرض جالينوس في اول كتـابه حيلة البـرء · وقال جالينوس : الجملة الثانية في ان ثاسلس لم يكتب طريقـا ولا برهانا في صناعته البتة ·

قال المؤلف : غرض جالينوس في هذه الجملة ابطال الطريق الذى ذهب اليه اصحاب الحيل ·

قال جالينوس : والثالثة ان ثاسلس لم يعلم من أين ينبغى ان يبتدى من يعمل البرهان ، أو يطلب شيئا طلبا صناعيا ·

قال المؤلف : غرضه في هذه الجملة ما عليه اصحاب الحيل بصناعة الطب (.............) ·

قال جالينوس : والرابعة ان ثاسلس لما ذكر فصول (............) أتى بانواع الامراض ·

قال المؤلف : غرضه في هذه الجملة تعريف سوء فهم اصحاب الحيل ·

قال جالينوس : والخامسـة في ان الاحتقان والاسترسـال(٨) ليسا انواعا خاصـة للامراض ، لكنهما مأخوذان من اصـناف قد توجـد من اشـياء أخـرى كثيرة(٩) ·

قال المؤلف : غرضه في هذه الجملة تعريف بعض* اصحاب الحيل عن معرفة ما يضطر الى معرفته في حيلة البرء ·

قال جالينوس : والسادسة ان ثاسلس لم يكن يعلم ما الصحة وما المرض ، وما سبب المرض ، وما العارض التابع للمرض ·

---

* في المخطوطة : بعد

قال المؤلف : غرضه في هذه الجملة تعريف اصحاب الحيل اذا كانوا لا يعرفون ما الصحة وما المرض ، ولا العرض التابع للمرض فلا معرفة [لهم]* ولا علم لحفظ الصحة ، ولا علاج المرض ، وان يعرف ان علم هذه الصناعة ومعرفتها الاشياء (.............) ولذلك نجد** هذه الاشياء طبيعة كل واحد منها . واذا كان ذلك على ما ذكرنا (........) .

وكان جالينوس يحكى عن نفسه ان هذا غرضه من حيلة البرء في المقالة الاولى ، وكان ما في المقالة مطابقا لما ذكرناه . فمن البين ان من أتى شيئا غير مطابق له ومشى بعيد عن هذا فما فهم المقالة الاولى من كتاب حيلة البرء . ولكن كان يحسب انه فهم وتصور ما فهم ولا (.........) ونحن نجد كلام الرازى في تلخيصه *** يزعم معاني هذه المقالة تطابق [احدا]عما ذكر جالينوس [انه عرفه] ، وهذا كلامه بلفظه :

قال الرازى : انه لما كان الفاضل جالينوس يرد في صدر هذه المقالة على رئيس فرقة من فرق الطب يسمى ثاسلس ، لم نجد بدا من ان نذكر فرق الطب واقاويلهم ما لا نسقط بهذا المعنى عن كتابنا ، هذا إذا كان أحد المعانى التى شرطها جالينوس في كتابه هذا على غاية الاطناب* والتطويل ، ولغاية الغيظ والحنق على هذا الرجل الذى هو رئيس هذه الفرقة اعظم الضرر الداخل قبله على صناعة الطب .

قال المؤلف : قد تبين من كلام جالينوس انه لا يذكر فرق الطب في هذه المقالة كلها ، ولا ما الفرق بين كل فرقة وبين غيرها ، ولا نجد ذلك في كتاب جالينوس هذا . واذا كان الامر على ما ذكرناه ما ذكر مقولات فرق الطب تحصيل معنى من معانى الطب واقاويلهم . وانت تريد بزعمك تحصيل معانى جالينوس، فدع ذكر فرق الطب . وحصل لنا معانى جالينوس في زيادة على ثاسلس [خصمه] في الكلام الذى ذكرناه . فان هذا هو المطلوب من هذه المقالة ، فلا يتوهم ان جالينوس ذكر في هذه المقالة فرق الطب فيظن انه اعاد ما كان

* في المخطوطة : لم

** في المخطوطة : نجرد

*** يقصد في تلخيصه لكتاب حيل البرء لجالينوس

قال في كتاب فرق الطب : وان معانى هذه المقالة هى معانى كتاب الفرق ، فاذا (٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) سقوط المعنى الذى زعمت انه لا ينبغى اسقاطه كيلا يغلط القـارىء فيظن ان ما في هـذه المقالة هو كتابه الفرق (٠٠٠٠٠٠) كأن جالينوس ينظر في هذه المقالة كذب صراح ٠ لان جالينوس قد اخبرنا غرضه فيها، ولو نجـد فيها ذكر الفرق لكننا نجـده يثبت قول ابقراط ويبطل قول ثاسلس فقط ٠ وقوله ان جالينوس تكلم في هذه المقالة بكلام في غاية الاطناب* والتطويل وغاية الغيظ والحنق ، كذلك ايضـا لان جالينوس نفسه يقول بهذا اللفظ في كتابه الذى ذكر فيه معانيه في هـذا الكتاب ، انه لما كان التعليم المختصر يأتى بالجمل** فقط ، والتعليم المفسر المستقصى يأتى بالجـزئيات كلها ، قصـدت في حيلة البرء التعليم المتوسط بين هذين التعليمين ٠

قال المؤلف : فعرفنا جالينوس انه قصد الاطناب والتطويل ، وانت تزعم انه قصد ذلك ٠ وايضا فجالينوس يعلمنا في كتاب محاسن الاخلاق(١٠) وينهانا عن الغيظ والحنق فكيف ينهانا عن شىء ويمتثله هو ، وكيف يعلمنا محاسن الاخلاق ولا يمتثلها وهو رجل فاضل؟ لكن الرازى لما سمعهيذكر منشأ ثاسلس واصحابه وأهل فرقتهم ، وبعدهم عن فضيلة ابقراط واصحابه وأهل فرقته ، وهو ليس فيه حنق ولا غيظ ولا افتراء ، بل هو تعب جدا في تعليم صـناعة الطب ، في اجتناب رأى اصحاب الحيل ، وفي اعتقاد رأى اصحاب القياس فقط ٠ فلما لم يفهم هذا المعنى الرازى ظن انه افتراء وغيظ وحنق ٠

قال الرازى : ونذكر بعد رده عليه مما قاله فيه ، نفع وجدوى في علاج الامراض ، ونلغى ما سوى ذلك مما اطنب فيه جالينوس لان ذلك يحزننا ، اذ ليس يكاد نجد في زماننا من يستعمل رأى ثاسلس هذا ، ولا يوجد له كتاب ، لان الاراء

---

* في المخطوطة : الاطباء

** يقصد بالجمل ، جملة الامور وعمومياتها باختصار ٠

الباطلة في الصناعات ينكشف عوارها على طول الدهر ، فيضرب الناس عنها ، ولا تنسخ كتبها فتندرس اولا فاولا حتى تبطل البتة . فاما المحقة فيكون الامر فيها بالضد ، لانها متى استعملت وجدت نافعة فترغب الناس فيها ويكثر المتعلمون لها والناس لكتبها .

ولقد كان رأى ثاسلس حديثا* في زمان جالينوس وجاذبا للقلوب بصفاته الجليلة ومواعيده المقربة . حتى انهم كانوا يقولون ان صناعة الطب يستكمل علمها في ستة اشهر . وحتى ان القائلين بهذا الرأى والعاملين به كانوا يوازون القايلين برأى ابقراط ويردون عليه ، ويزعمون انه تطويل فما حاجة بالصناعة اليه. فلم نسمع جالينوس ما يحمله في ذلك .

ولما طالت تجربة الناس لهذه الصناعات [والمواعيد] انكشف عوارها ، وباطلها . فقل لذلك القايلون بهذا الرأى ، والمتعلمون له والناسخون لكتبه ، ولم يحتج أهل هذا الدهر الى الخوض في هذا الرأى فيطول الكلام فيه .

قال المؤلف : ما ذكره الرازى في هذا الكلام ، وهو صفة الحال فيما يظن ، بقوله اصحاب الحيل واندراس مقالهم . وليس صفة هذا الحال يحصل معنى من معانى جالينوس التى ينفعك تعليمها في هذه المقالة . وانت تزعم انك تحصل معانى الرجل في مقالته . فدعنا من صفة اصحاب الحيل ، واذكر لنا مقالة جالينوس كما تضمنت وايضا فما فهم هذا المعنى على قوله انه لا فرق بين اندراس الكتب والمقالات وبين استعمال ذاتها . وذلك انه كذب في قوله ليس يوجد في زماننا من يستعمل رأى ثاسلس ، لان اكثر أهل زماننا يستعملون رأى ثاسلس وهم لا يشعرون ، اولهم الرازى نفسه . فانه وضع كنانيش وكتبا كثيرة استعمل فيها رأى ثاسلس ، وذلك انه يضع مرضا ، ويذكر لها أدوية لا قياس معها ولا مقرونا بها . وذلك ان القياس هو ان يستنبط من هذا المرض الحاضر الساعة مداواة أدوية خاصة به دائما . وكل من شاهدته من الاطباء اذا فحصت عنهم وتأملت أمرهم وجدتهم يستعملون رأى اصحاب الحيل على ما يثبت في المقالة

---

* اى موضوع حديث

الاولى من هــذا الكتاب وهم لا يشــعرون · بل يظنون انهم على رأى ابقراط وجالينوس وهم في غاية البعد منهما ·

واذا كان أهل هذا الزمان يستعملون ولا يشعرون رأى ثاسلس ، فالضرر من قبل ثاسلس على صناعة الطب باق على حاله ، وان كان اندرست مقالاته وكتبه · وقوله ولما طالت تجربة الناس لهذه الضمانات والمواعيد انكشف عوارها وباطلها ، فقل لذلك القائلون بهذا الرأى والمتعلمون له والناسخون لكتبهم ، ب نه ان* قل القائلون بهذا الرأى المتعلمون له الناسخون [له]** كتبه [illegible] ابطلـه جالينوس وأوضح من فساده · ويشـــهد بكذبه الى وقتنا هذا أنهم*** [يستعملون] هــذه الضمانات والمواعيـد ، وان لم يكونوا يصرحون باسمائها ولا يعرفونها · وذلك انا نرى الكثير من الاطباء يثنون على صناعة الطب من غير تعليم ، حتى ان افضلهم من جلس بين يدى معلمه وعمل مثل ما رآه يعمل وان اضاف الى ذلك (··········) كناش وتصفح شيئا من كتب جالينوس تصفحا من غير فهم لشىء منها ولا تصور ·

قال الرازى : فلنذكر الان فرق الطب فنقول انها ثلاث فرق : فرقة تعرف باصحاب القياس ، وفرقة تعرف باصـحاب التجارب ، وفرقة تعرف باصــحاب الحيل · فاصحاب القياس يرومون ان ان يعملوا طبيعة المرض والشىء الشافي ، ولم ذلك ؟ وباى قوة يعمل ما يعمله لغاية ما يمكن الانسان بلوغه من النظر فيه بطريق البرهان ، وبطريق الاقتناع · ومن كان منهم أفهم ، وأدرب ، والطف في هذا النظر والاستخراج والاستنباط ، كان أعرف في الصناعة واحذق فيها · واصحاب التجارب يرومون ان يدركوا جميع الاشياء التى قد شوهدت مرارا كثيرة تنفع مرضا من الامراض من غير ان ينظروا في طبيعة ذلك المرض ، والدواء ،

* ليس الكلمة (ان) وجود في المخطوطة وقد اثبتناها لتوضيح السياق ·

** تبدو [له] زائدة في هذا السياق ·

*** اضفنا كلمة انهم ساقطة اثناء النسخ ·

وبأي قوة يفعل فيه • ومن كان منهم اكثر مشاهدة لهذه الاشـــــياء أو حفظا لما شاهده ، كان عندهم اعرف بالصناعة •

واصحاب القياس ينظرون بطريق القياس في العلاجات من العلل والاشفية (•••••••) عليها كلهــا • ومن كان منهـم أقــدر على ان يجمــع كثيرا من الخاصيات تحت عامية واحدة • من أجل ذلك تعين على اصحاب القياس وجود الاشفية والعلم بماهية الامراض ، وذلك على عكس اصحاب التجربة ، ويكثر وقوع الخطأ على أصحاب الحيل (انتهى كلام الرازى)* •

قال المؤلف بما حكاه الرازى في هذا الكلام ، وان كان شديد الاضطراب فمعايبه صــدق ، غير انها حــكاية وصفه لآراء فرق الطب [ولا تعلق بها] بما تضمنته المقالة الاولى من حيلة البرء ، لا هى ولا غيرها من مقالات هذا الباب • فان الذى تضمنه هذا الكتاب هو تعريف الحيلة في كل واحــد من الامراض فقط • والذى تتضمنه المقالة الاولى منه هو على ما ذكرناه آنفا • وليس في هذه المقالة [ماهو] وصف مقالات فرق الطب • فالرازى لما لم يفهم المقالة الاولى من هذا الكتاب ، ووجد جالينوس يناقض ثاسلس رئيس فرقة اصحاب الحيل ، ظن ان غرضه فيه ذكر مقالات فرق الطب • وهذا في غاية البعد عن غرض جالينوس في هذه المقالة بحسب ما قدمنا وصفه • ولما ظن الرازى هذا الظن وتصوره ، وفهم غير ما ينبغى الحال في هذا المعنى ، وضرب أمثلة يروم ان يشرح بها مذاهب فرق الطب ، فترك ان يحصل لنا معانى المقالة الاولى من حيلة البرء وجمل معانى كتاب الفرق ، وهذا تخليط في الذهن وتقصير في الفهم والتصور • ولذلك نضرب عن الامثلة التى رام ان يشرح بها المقالة الاولى •

قال الرازى : في هذه المعانى التى تضمنتها المقالة الاولى من كتاب جالينوس هذا ، وان غمض شيء من هذا الكلام على قارئه ، فلا يهمنا ، لانا لو ذهبنا ان نستعمل بالقول في الهظوم ، والفضلات ، والحاجة الى الاغتذاء ونحو هذا مما مر في كلامنا • لفارقنا غرضنا في هذا الكتاب ، وستفهمه اذا قرأت شيئا من كتبنا ،

---

* هذه العبارة من وضعنا وقد اثبتناها •

** يقصد كتاب حيلة البرء •

فانما اتى من قبل تقصيره على قراءة كتب الاطباء · فان من قرأ كتب الاطباء فانه سيحكم لنا ان قد أوجزنا القول فيما قلنا وجمعنا ونظمنا هذه النكت في غاية الاختصار والنظم* ·

قال المؤلف : قد صرح في هذا الكلام** ان ما ذكره من فرق الطب وشرح مقالاتهم هو تحصيل المقالة الاولى من كتاب حيلة البرء ، فيكون اذن غرض جالينوس فيها هو تحصيل النكت التى ضمنها الرازى في مذاهب كل واحد من فرق الطب لا مناقضة ثاسلس والرد عليه لغاية الغيظ والحنق · فالرازى اذاً ناقض نفسه بذلك ولم يشعر · ومع هذا ما وجدنا في شىء من كتاب حيلة البرء حكاية ووصف مذهب كل فرقة من فرق الطب ، والفرق بين بعضها وبين بعض · فان جالينوس نفسه قد عرفنا اغراضه ، ونحن فلا نجد في كتابه هذا شيئا خارجا عما عرفنا من اغراضه · فمن اين ليت شعرى وقع الرازى في هذا الظن حتى قال ما قال لولا سوء تصوره عن فهم اغراض جالينوس في كلامه فتخيلها معانى أخر بالظن البعيد جدا عن مذهب الرجل ·

قال الرازى : ثم ان جالينوس يقول : لما كان قصدنا به غرضنا ان نستخرج العلم لشفاء الامراض كلها فقد يجب علينا ضرورة ان نتعلم أولا كم الامراض كلها ؟ ولما كان من المحال ان نقع على فصول وانواع جنس ما ، اى جزء كان ، دون ان نعرف بين الجنس الذى فيه تنقسم الفصول والانواع معرفة تعين ما ينبغى لنا (····) ان نقدم حد ذلك المرض ما هو لينقسم قسمة صواب · فنقول : هذا الكلام هو حق صحيح ولكن الشأن في الوفاء بضمانه ، ثم أخذ*** يشرح لنا معاني هذا الكلام**** ·

قال المؤلف : ياهذا الرجل الفاضل ، وعدتنا ان تحصل لنا معانى هذا الكتاب، فكان ينبغى لك ان تحصل معانى هذا الكلام الذى كتبته عن جالينوس ·

---

* هذا الكلام للرازى · كما يفهم من سياق الحديث

** يقصد الرازى ·

*** أى أخذ الرازى ·

**** هذا قول ابن رضوان ·

فنقول على هـذا المثال ، انه لما ابطـل جالينوس ما ابطله من مذهب ثاسلس ، وعرف انه لم يكن يعرف ما الصحة وما المرض ، وما العرض التابع للمرض ٠ وكان غرضنا تعلمنا حيلة البرء ، غرضنا في هذا المعنى مبدأ حيلة البرء ، وهو الطريق التى تعرف انواع الامراض الاخيرة ، وانما نعرفها على ما ينبغى اذا قسمنا جنس المرض بفصوله القياسية ، وانحدرنا الى انواع الانواع على [ولاء] وترتيب من غير ان نجاوز الاجناس المتوسطة ٠ ويكون قد حصلت لنا معنى الرجل في كلامه ٠ لكنك أتيت وحكيت أوجه كلام الرجل [لتتسلط] بسوء عبارة ورذالة تصور فهم لمذهب الرجل ٠ ثم زعمت ان الشأن في الوفا بهذا الضمان ، فاوهمتنا ان هذا امرا اما ان لا يتم لنا ، واما ان يكون جالينوس قد أخطأ وغلط فيه ٠ فما ادرى من اى أمر بك اعجب ايها الرجل الفاضل ؟ ٠

وقال الرازى : وقد حد جالينوس المرض مطلقا ، بانه مانع من ان لا يكون الا المرض الذى يبطـل فعـل العضـو البتة ، بـل والذى ينقص منه ٠ وقولنا بالاضافة الى ما لم يزل عليه مانعا من ان يسمى الردىء المزاج (٠٠٠٠٠٠٠٠) البنية بالطبع مريضا ، فلا يـكون حينئـذ صحيحا الا أجود الناس بنية ومزاجا٠ وقولنا مع الم وغير ألم ، فلئلا يتوهم المتوهم ان من به قرحة في انفه أو اذنه تؤلمه ولم تنقص من شمه ولا من سمعه شيء ، فهو صحة ٠ وقولنا لم يأت بذلك من اجل الزمان ، فلئلا يتوهم الشيخ مريضا بنقصان أفعال اعضاءه وقواها ، فهذا هو الحد المستوفي للمرض بان ضم اليه حيث يقول* بفعل بعض الاعضاء أو كلها أو مسحة لها ، احتوى ذلك على الجزء المسمى من الطب [الزينة] ٠

قال المؤلف : لا ادرى من اى شـيء اعجب من هـذا الكلام ، أمن معـرفة الرازى بصناعة المنطق فضلا عن الكامل فيها ، يفرق بين الحدود والرسوم ، ويعلم ان الحد تخليص ذات المحدود ، والرسـم يـدل على ذات المحـدود ٠ وما ذكره الرازى في هذا الكلام اشبه بالرسم والحد ٠ واذا حصل أى** لم يكن ايضا رسما جيدا على ما سنوضح ، وخاصـة [تضمينه] لانه يعرف منه جهله بالحـدود ٠

---

* تبدو هذه الكلمة زائدة ٠ من صنع الناسخ ٠
** في المخطوطة : أيا ٠

وذلك ان الحد مؤلف من جنس واحد وفصل واحد · وانما تكثر الفصول اذا كان ليس للجنس اسم يستعمل حدا للجنس مكان اسمه · والرازى فيما وضع في حده شيئا من هذا المعنى ، ولا عرف ايضا الفرق من الفصول المقسمة والفصول المتممة ، فدل بجهله بمعانى القسمة ، وعبارته في حدها مع طولها عبارة ثقيلة على السمع ، ليس لها بهجة ولا فصاحة · ودل ايضا على انه لا يفهم طريق القدماء في الالفاظ التى تؤلف بها الحدود والرسوم · وقد كان وعدنا ان يحصل لنا معانى جالينوس فخالف ما وعدنا به ، وطعن على الرجل وزعم ان حده ليس بكاف ، وان الكافي هو الذى ذكره هو ، واسقاطه وتغليطه · ومع هذا فان الرازى ما نظم الفاظه ولا حصل معانى تفسيره ، وذلك انه يقول ضررا كليا أو جزئيا · وكان حقه ان يقول جزئيا أو كليا · ومع هذا فانه عرفنا ان الذى يقول في هذا الحد ما هو منه على يقين ، ولكن على ظن وحسبان ، لانه قال : فانا أصيب ، وان كان هذا الحد يعنى حد جالينوس من أصلح ما حد به المرض انه ليس بكاف ، والتام الكافيكليا أو جزئيا يدل على غاية البعد من فهم شيء من صناعة المنطق · وذلك ان الكلى والجزئى متناقضين · ووجدهما في الفهم لا في الامور الموجودة · والمرض بأمر موجود خارج الذهن ، فلعل المرض عندك ان كنت تفهم امر قوامه في الذهن لا في الامور نفسها ·

وقولك بالاضافة الى ما لم يزل عليه كل واحد من الناس ، فسل ذلك المفهوم منه ان المرض مضاف لا حقيقة له بنفسه ، اعنى لوجوده على انفراده من غير ان يضاف الى ما لم يزل عليه كل واحد من الناس قبله · واذا كان هذا حال المرض ومعناه ، فليس له وجود وحقيقة · وما ليس له وجود ولا حقيقة فما الحاجة الى حيلة البرء أو الى شيء من الادوية وانواع العلاج · فانت بهذا الدجل تبطل صناعة الطب ·

وقولك مع ألم أو غير ألم دليل على معنى المضاف ايضا ، اى الى معنى المرض هو ان يكون مع الم أو غير ألم ، وقد مضى الكلام في المضاف وانه يؤدى الى ابطال صناعة الطب هو ما ذكره الرازى من تلقاء نفسه · ثم اعجب من هذا [واهواله] على انه ما كان يتصور ما يقول : انه زعم ان الحد (········)

المرض حـال ما مضرة مم زعم انه ان ضـم الى ما اتبعه (..........)
لا تكون ولا (..........) بفعل بعض الاعضاء أو كلها ، فذلك على أنه ما
يتصور ان هذا المعنى لا ينضم الى المعنى الاول . وانا الان انظـر في لفظة من
الفاظه وافحص عنها لتشهر حـرف ما ذكرناه فيه ، ولنكون في الفاظه شـاهد
يقضي به . وعلى* قلة معرفته بالاداب والعلوم . فاول ما اقول مخاطبا للرازى :
ياهذا الرجل الفايدة المستفادة من الحد هو ان نتصور معنى المحدود تصورا تاما.
فان كان ما اثبت به حد المرض فمن البين انه يتصور به معنى المرض تصورا
تاما . وهذا التصور فلا يكون ظنا ولا حسبانا ، بل يكون حقيقة . وانت تزعم
انه حسبان ، ومع [ذلك] فليس البتة نتصور معنى المرض منه من العرض وذلك
ان قولك حال (.........) فعل يعض الاعضاء أو كلها . الحال اسم مشترك
يدل في صناعة الطب على الصحة والمرض ، وعلى العرض التابع له . لكن بما
قلت حال ما ضره بفعل بعض الاعضاء أو كلها ، فهمنا من هذا الكلام أحد آمرين:
أما ما يضر بالفعل من غير متوسط ، وهذا لعمرى هو المرض ، لكن لفظه حال
قبيحة وتستعمل بحسب ما يبين في صناعة المنطق على ما هو من الكيفية وشيك
الزوال سريع التغير . ونحن نجد امراضا كثيرة تصير مهلكات مثل الجذام(١١) ،
وحمى الربع(١٢) وسقيروس(١٣) وغير ذلك . فلو استعملت بدل ما استعمله
جالينوس في قوله في بنية او هيئة لكان أبين في الدلالة واوضح المعنى . لكن هذا
أمر لا يفهمه ولا يفرق بين الحال والهلكة ولا بين هذين ، ولا بين البنية والهيئة.
والامر الاخر المفهـوم من قولك ما حصره بفعل بعض الاعضـاء او كلها الخال
المسماه سبب المرض ، فان هذه تضر بفعل الاعضاء او كلها ، لكان اضرارها
بذلك متوسط المرض . ولا يشترط في لفظلك شريطة يفعل المرض من سببه كما
فعـل جالينوس . فامرك كله معجب وقولك (........) ثم لم بأن ذلك من

* اثبتنا هذه الكلمة لتوضيح السياق .

أجل الزمان · كلام عجيب لانه لفظ (٠٠٠) يفهم منه العطف على ما تقدم ، بعد جعله فعل معنى المرض عندك انه شيء لا يوجبه الزمان بعدما حصل معناه ·

وقولك فيكون الحال في هذا الموضوع جنسا للضدين ، الصحة والمرض ليس بصحيح ، لان الحال جنس من الاجناس الكيفية ، وهي في هذا الموضوع دلالة على الصحة وعلى المرض ، وعلى السبب ، والعرض التابع للمرض ·· وان كل واحد من هذه يقع عليه اسم الحال متى أريد بها ما ذهبت اليه · واذا كانت اسما هذا حكم دلالة ، فليس هنا للضد من الصحة والمرض · وقولك : وقوة مضرة بالفعل فصل للمرض من الصحة خطأ من ثلاثة أوجه : أحدها ان المضر بالفعل امران : احدهما على ما قلنا سبب المرض ، والاخر المرض نفسه · فكنت تحتاج الى ان تشترط في هذا الكلام الفرق بين الامرين ، وما اشترطته ، والثانى ان لفظه الفصل تدل على ذات اما منقسمة لجنس ، واما متممة لنوع · وانت تزعم ان الفصل ههنا فصل المرض من الصحة ، وهذا لا يقال ، بل الذى ينبغى ان يقال تمام المرض أو [ميزته] أو فصله ، أو قسم الجنس · والثالث انه ان كانت الحال على ما زعمت جنسا للصحة والمرض · وقد (٠٠٠٠٠٠) الفصل · فمن البين انه قد فهم · وكمال الحد في الحاجة الى تلك الزيادة كلها التى يأتى بها بعد هذا · ليت شعرى فيكون ما زدته دلالة على انك ما فهمت ما قدمته في كلامك · ومع ذلك فقد عدت الى ما انكرت على جالينوس في زعمك انه حد المرض بهذا الحد · وقولك : وقولنا بفضل بعض الاعضاء أو كلها (٠٠٠٠٠٠) من ان لا يكون مرض الا المضرة بفعل جميع الاعضاء · ليت شعرى هذه الزيادة فصل ايضا أو غير فصل ، فان كانت فصلا فمن البين انه يجب ان لا يخصص الحال لمضرة بفعل بعض الامراض او كلها دون بعض · وذلك ان الزيادة في الحد نقصان في المحدود · وانت تزعم انها من ان لا يكون مرض الا المضر بفعل جميع الاعضاء · وهذا معنى لا يفيد في هذا الحد ، لانه مفهوم من قولنا حال ما مضره بالفعل · ان هذه الزيادة قد دخلت في ذلك · وان كانت غير فصل فهى لها خاصة · واما عرض فلا فايدة لشيء من ذلك في الحد · وقولك الا الذى تبطل فعل العضو البتة ، بل والذى ينقص فصلا فهى ناقصة من المحدود · وان كانت غير فصل فلا فائدة منها ، وعلى هذا المنال القول في شيء من زيادتك · واعجب من هذا انه اذا قرن (٠٠٠٠٠٠) بطل الحد كله لان (٠٠٠٠٠٠)

ما هى حال مضرة بالفعل ،وانا اسأل الناظر في مقالتى هذه ان يتأمل هذه المقالة الاولى من حيلة البرء ، وما جمعه الاسكندرانيون في معانيها وما ذكره جالينوس في معانيها ، هل في شيء من ذلك ما ظنه الرازى انه تحصيل معانيها · أما الحق فانا نجد ما ذكره الرازى في غاية البعد من المعانى التى تتضمنه المقالة الاولى من حيلة البرء ، أمور خارجة لا تعلق من هذه المقالة بشيء منها بوجه ولا سبب · فيظهر ان الرازى لما كان يتصور اغراض جالينوس في كلامه وانه وقع في ذلك لعدمه الاداب والعلوم التى (······) لمن يرتاض بها قبل تعلم صناعة الطب من كتب جالينوس· وعلى هذا المثال نجد حال الرازى فيما ذكره من معانى المقالة الثانية من هذا الكتاب ، فانه يورد اشياء خارجة جدا من مذهب جالينوس في مقالته ولا تعلق بشيء منها مما تضمنته المقالة الثانية · فاما بقية الكتاب فانك تجد الرازى يفهم ما كان ظاهرا بينا واضحا ثم يصوره بسوء تصوره ، مثال ذلك انه يظن ان الامثلة التى ذكرها جالينوس أمور خاصة بالاعضاء والامراض التى سماها جالينوس·و[ ] وضع هذه الامثلة لنفهم منها الامور الكلية كالذى ذكره في المقالة السابعة في ضعف المعدة ، فانه يكون من سوء مزاج · فان جالينوس جعل ذلك مثالا يفهم به الامر صنف كل واحد من الاعضاء عرف بحيلة برء في المعدة ليحتذى به في حيلة برء في اى عضو اتفق ان يضعف فعله ، فيوصل اليه من انواع المداواة في الطرق التى توصل اليه بمقدار ما (يعد) من أحدمن الطبيعيين · واعجب من هذا ان الرازى لو شعر ان ضروب سوء المزاج ستة عشر:ثمانية بلا مادة وثمانية معها مادة·ولاشعر ان المزاج مرض للعضو المتشابه الاجزاء ، فقد يحدث فيه من انواع الضعف بعدد الاعضاء المتشابهة التى هى منها مضروب في ستة عشر · مثاله : المعدة ، فان جرمها الخاص بها عضو مشابه الاجزاء ، ويحدث فيه ستة عشر مرضا من امراض سوء المزاج ، وفيها عروق وشراين واعصاب يمكن ان يحدث ضعفها من قبل سوء المزاج بمرض لكل من هذه · وكل واحد من هذه يحدث فيه ستة عشر مرضا : الحار والبارد والرطب واليابس · هذه اربعة امراض يمكن ان تكون بلا مادة ، ويمكن ان تكون مع مادة فتصير ثمانية* · واربعة اجزاء مركبة : الحار الرطب ، والحار

* في المخطوطة : ثانية

اليابس ، البارد الرطب ، البارد اليابس . وهذه اربعة مركبة يمكن ان تكون بلا مادة ويمكن ان تكون مع مادة . فكل هذا أغفلة الرازى ولم يشعر به ، ولم يشعر ان جالينوس انما جعل ما ذكره من الاعضاء ، واسمه من الامراض (.........) امثلة مشروحة يفهم من كل واحد منها قانون عام يستعمل في نظايره ، مثال ذلك : اذا حدث في الكلى ضعف فعرفنا سوء المزاج الفاعل له ، ونظرنا الطريق التى توصل الادوية الى الكلى ، واستعملنا قانون تركيب الادوية من الحيلة التى عرفناها جالينوس ، ونحذر بصناعة المنطق في القياس حتى لا نغلط ، فنصير بذلك الى ابراء ضعف الكلى بصناعة فاعلة تفعل افعالها عن (......) صادقة . وانت اذا تأملت كلام الرازى في كتبه وفي تحصيله ما ذكر تحصيله من كلام جالينوس ومناقضته له ، وجدته بحسب ما ذكرنا كلاما زايفا مهرجا ، يوهم من لا معرفة له ، ولا دربة بالاداب والعلوم التي ذكرنا ، انه شيء وليس بشيء ، فاحذر ان يصيبك ما أصاب حنين والرازى . فانه اذا كان قد عرض لكل واحد من هذين الرجلين ما ذكرنا ، شهدنا عليه وارشدنا اليه وموضع كل واحد منهما الموضع الذى ذكرناه ، ادمان النظر والتدريس لكتب القدماء ، فما ظنك بمن لم [يبلغ] مبلغهما ، ولا درس مثل درسهما ، ولا ادمن النظر مثل ما ادمناه . فلذلك ينبغى ان اردت ان تكون طبيبا فاضلا قريبا من جالينوس ان تحكم ما ذكرناه شيئا فشيئا الى ان تصير طبيبا فاضلا وفيلسوفا كاملا ، ان شاء الله .

كملت المقالة الثانية من الكتاب النافع
والحمدلله . وله مقالة ثالثة . هكذا
في طبقـات الاطبـا*

---

* هكذا كتب هذه الكلمة في المخطوطة .



الهوامش

(١) يشير بذلك الى كتاب الرازى في نقده على كتب جالينوس (ابن القفطى ص ٢٧٣ ، ابن ابى أصيبعة ص ٤٢٢) وقد نقد الرازى فيه ثمانية وعشرين كتابا من مؤلفات جالينوس (مخطوطة رقم ٢٣/٤٥٥٤ ، ملى ملك ص ١ ــ عن البير اسكندر ، الطب الاسلامى ــ الكويت سنة ١٩٨١ ص ٢٤٢) واقرأ أيضا
Ullmann — Medizin im islam, P. 63 77, 134 , 135.

(٢) يشير ابن رضوان بذلك الى كتابه في حل شكوك الرازى على كتب جالينوس (ابن أبى أصيبعة ص ٥٦٦) ٠

(٣) ذكر ابن ابى أصيبعة ص ٤٢٥ هذا الكتاب باسم اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس ٠

(٤) في التراثيات العربية كثير من الكتب التى وضعها المؤلفون باسماء علماء او اشخاص من اعيان الناس ٠ وهذا النهج مألوف حتى عند المؤلفين اليونانيين ٠

(٥) كتاب لشفاء الامراض ــ لم نجد ذكرا لهذا الكتاب ٠ وقد يقصد به كتاب التأتى لشفاء الامراض ٠

(٦) الحمى المطبقة ــ هى التى تظهر يوما اثر يوم ٠

(٧) الاجناس العليا من الامراض ــ هى الاعراض التى يشكو منها المريض ٠

(٨) الاحتقان والاسترسال ــ وهما الامتلاء والاستفراغ ٠

(٩) اى انه يعتبر الاحتقان والاسترسال من الاعراض لا من الامراض ٠

(١٠) ك٠ محاسن الاخلاق ــ يذكره سزكين باسم كتاب الاخلاق كما يذكره ايضا باسم تهذيب الاخلاق ٠

(١١) الجذام ــ من الامراض التى عرفت منذ أقدم الازمان ٠ سماه العرب داء الاسد كناية عما يقضمه من اجزاء البدن كالاصابع والانف وغيرهما ٠ وهو مرض معد ٠

(١٢) حمى الربع ــ وهى التى تتناوب كل أربعة أيام ٠



مراجـــع الكتـاب

(١) ابقراط ـ الاهوية والمياه والبلدان ـ شبلى شميل ، دار المقتطف ١٨٨٣ .

(٢) ابقراط ـ تقدمه المعرفة ـ صادق كمونة ، نجف ١٩٣٨ .

(٣) ابن ابى أصيبعة ، احمد بن القاسم الخزرجى ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء انزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ .

(٤) ابن البيطار ـ الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، أوفست المثنى بلا تأريخ .

(٥) ابن رضوان المصرى ـ الكفاية في الطب ، بغداد ١٩٨١ .

(٦) ابن سينا ـ القانون في الطب ، اوفست المثنى بلا تأريخ .

(٧) ابن العماد الحنبلى ـ شذرات الذهب ، الشركة التجارية ، بيروت بلا تأريخ .

(٨) ابن القفطى ـ تأريخ الحكماء ـ ليبرت لا يبرج ١٩٠٣ .

(٩) ابن النديم ـ الفهرست ، تجددى ، طهران .

(١٠) ابن هبل البغدادى ـ المختارات في الطب ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٣هـ .

(١١) أبو الصلت . أمية بن عبد العزيز ـ الرسالة المصرية ، عبد السلام هارون ، لجنة التأليف القاهرة ١٩٥٠ .

(١٢) اسحاق بن حنين ـ تأريخ الاطباء ، روزنثال Orient ١٩٥٤/٧ ، ص ٨ ـ ٥٥

(١٣) البير اسكندر ـ الرازى ومحنة الطبيب ، مجلة المشرق ١٩٦٠/٥٤ ، ص ٤٧١ ـ ٥٢٢ .

(١٤) البير اسكندر ـ الرازى الطبيب الاكلينيكى ، مجلة المشرق ١٩٦٢/٥٦ ـ ص ٢١٧ ـ ٢٥٩ .

(١٥) البيهقى ـ تأريخ حكماء الاسلام ـ محمد كرد على دمشق ١٩٤٦ .

(١٦) جالينوس ـ التجربة الطبية ، حنين وحبيش ، اكسفورد ١٩٤٤ ٠

(١٧) حنين ـ المسائل في الطب ، أبو ريان وأصحابه ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

(١٨) نللينو ـ الفلك عند العرب ، ترجمة عبد الحميد النجار ومحمد يوسف ، القاهرة ١٩٦٢ ٠

(١٩) رضا كحالة ـ معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٦١ ٠

(٢٠) الرازى ـ المدخل في الطب ، جامعة سلمنقة ١٩٧٨ ٠

(٢١) الزركلى ، خير الدين ـ الاعلام ، ط ٣ بيروت بلا تأريخ ٠

(٢٢) الشهر زورى ، شمس الدين محمد بن محمود ـ نزهة الارواح وروضة الافراح ـ حيدر آباد الدكن ١٩٧٦ ٠

(٢٣) احمد عطية الله ـ القاموس الاسلامى ـ القاهرة ١٩٦٢ ٠

(٢٤)الغسانى ـ المعتمد في الادوية المفردة ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٥ ٠

(٢٥) اليعقوبى ـ تأريخ اليعقوبى ، بيروت ٦١٩٠ ٠

(٢٦) The story of medicine, N.Y. library 1960.

(٢٧) Sezgin, F., Geschichte des arabichen schrifttums, dand 3 leiden 1976.

(٢٨) ullmann- Die medizin im islam, brill 1970.

الفهـــــارس

(١) اسـماء الاعـلام ٠

(٢) اسـماء الكتب ٠

٣ ـ اسماء الادوية والاغذية

١ ـ فهرس الاعلام

٢ – فهـرس الكتب

٣ ـ فهرس الادوية والاغذية

مصادر تحقيق الكتاب

(١) ابقراط ـ كتاب الاهوية والبلدان ، تحقيق شبلى شميل . القاهرة ١٨٨٥ .

(٢) ابقراط ـ تقدمة المعرفة ، ت . المحامى صادق كمونة ١٩٣٨ .

(٣) ابن ابى اصيبعة ـ عيون الانبـاء في طبقات الاطباء ، ت . نزار رضـا ، بيروت ١٩٦٥ .

(٤) ابن البيطار ـ الجامع لمفردات اجدوية والاغذية ، اوفست مكتبة المثنى ، غير مؤرخة .

(٥) ابن جزلة البغدادى ـ منهاج البيان فيما يحتـاجه الانسـان ، مخطوطة مكتبة الطب في بغداد .

(٦) ابن جلجل ـ طبقات الاطباء والحكماء ، ت فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٧) ابن رضوان المصرى ـ كفاية الطبيب ، ت سلمان قطاية ، دار الرشيد ، بغـداد ١٩٨٠ .

(٨) ابن سينا ـ القانون في الطب ج أ ، أوفست مكتبة المثنى ، بلا تأريخ .

(٩) ابن العمـاد الحنبلى ـ شـذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بلا تأريخ .

(١٠) ابن القفطى ، جمال الدين ـ تأريخ الحكماء ، ت ليبرت . لايبك ١٩٠٣

(١١) ابن هبـل البغـدادى ـ المختارات في الطب ج٢ ، حيـدر اباد الركن ١٣٦١ .

(١٢) أبو الصلت أميـة الدانى ـ الرسـالة المصرية ، نوادر المخطـوطات ، عبد السلام هارون ص ١١ ـ ٥٦ .

(١٣) جالينوس ـ التأتى لشفاء الامراض ، ت . محمد سليم سالم . دار الكتب . القاهرة ١٩٧٧ .

(١٤) جالينوس – التجربة الطبية ، ترجمة حنين وحبيش ، اعداد ولسر ، اكسفورد ١٩٤٤ .

(١٥) جالينوس – فرق الطب ، ت • محمد سليم سالم ١٩٧٧ .

(١٦) حنين بن اسحاق – المسائل في الطب ، ت ، ابو ريان ومشاركاه ، القاهرة ١٩٧٨ .

(١٧) حنين بن اسحاق – رسالة حنين الى على بن يحيى المنجم فيما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس .

(١٨) الحاوى في الطب – ابو بكر الرازى ، حيدر اباد .

(١٩) الغسانى ، الملك المظفر يوسف بن عمر – المعتمد في الادوية المفردة . دار المعرفة ، بيروت ١٩٥١ .

(٢٠) المجوسى ، على بن العباس – كامل الصناعة الطبية جزآن غير مؤرخ .

(٢١) محمد بن الحسن بن محمد الكاتب – كتاب الطبيخ . ت . محمد كرد على ١٩٨٢ .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٦ لسنة ١٩٨٧

مطبعة جامعة بغــداد
١٩٨٦

وفي المقالة الاولى من هذا الكتاب معلومات وفيرة عن اول ظهور الطب بالجزر اليونانية والاطباء الذين شاركوا في تطويره في القرن الرابع قبل الميلاد • كما فيه معلومات عن تعليم الطب بطريقة ابقراط وجالينوس ، وعن مناهج تعليمه في مدرسة الاسكندرية المتأخرة، واسلوب تعليمه في العصور الاسلامية حتى القرن الخامس الهجري • أما الفقرة الثانية فقد كرسها ابن رضوان في نقد كل من حنين ابن اسحاق وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي فيما كتباه من كتب الطب وعلومه الاساسية الاخرى المحققه .



رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد

(٣٦) لسنة ١٩٨٧



- الدكتور كمال السامرائي
- ولد بسامراء سنة ١٩١٤
- تخرج من كلية طب بغداد ١٩٣٩
- حصل على الاختصاص بجراحة الامراض النسائية والتوليد سنة ١٩٤٥
  حصل على شهادة العضوية من كلية الجراحين النسائية MRCOG بانكلترا سنة ١٩٦٣
- شهادة الزمالة من جمعية الجراحين النسائيين الملكية FRCOG بانكلترا سنة ١٩٦٤
- حصل على لقب استاذ متمرس بجامعة بغداد سنة ١٩٧٩
- رئيس دائرة الامراض النسائية والتوليد بكلية طب بغداد والمستشفى التعليمي من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٧٩
- له كتابه تاريخ الطب العربي (جزئين) ، وتاريخ الامراض النسوية من التاريخ القديم واخباره في العراق الحديث• وبحوث متعددة في العلوم الطبية والتراث الطبي العربي .